

النواذر المطربة

إبراهيم زيدان



النوادر المطربة

تأليف
إبراهيم زيدان



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٤٥٥ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	القسم الأول
٩	النوادر الأدبية
١٣	الثقلاء
١٥	آباء وأبناء
١٧	مع الحكماء
٣١	نواذر متنوعة
٤١	القسم الثاني
٤٣	في محاسن المحبوب
٥٩	رباعيات
٦١	القسم الثالث
٦٣	في وصف الشَّعر
٦٩	القسم الرابع
٧١	في العزل
٩٥	القسم الخامس
٩٧	في بعض منظومات لجامع الكتاب
١١٩	ملحق بالكتاب

النواذر المُطربة

١٢١	القسم الأول
١٣٣	القسم الثاني
١٣٧	القسم الثالث
١٥١	القسم الرابع
١٥٥	القسم الخامس
١٥٩	القسم السادس
١٦٧	المصادر

القسم الأول

النوادر الأدبية

الأذكفاء في مجلس عمر

كان زياد جالسًا بمجلس عمر، فأملى عمر على كاتبه كتابًا سرًّا، فكتب الكاتب خطأ، فقال زياد: يا أمير المؤمنين، إنه كتب غير ما أملت، فتناول عمر الكتاب فوجد الأمر كما قال زياد، فقال عمر لزياد: من أين علمت هذا؟ قال زياد: سمعت كلامك ورأيت حركة قلمه فلم أرَ بينهما اتفاقًا.

نكاء بهلول

مرَّ بهلول بقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئتها، فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر على بهلول، فلما اجتمعوا به قال أحدهم: يا بهلول، تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة، قال: نعم، فأعطوه الدراهم، فصرَّها في كفه ثم قال: هاتوا سلماً، فقالوا: لم يكن في شرطنا سلم، قال: إن شرطي هو دون شرطكم.

عندك كام سنة؟

قال رجل لهاشم بن القرطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر، قال: لم أرد هذا، قال: فما أردت؟ فقال: كم تعد من السن؟ قال: اثنين وثلاثين سنًّا من أعلى وستة عشر من أسفل، قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنة؟ قال: ما لي منها شيء، كلها لله عز وجل، قال: فما سنُّك؟ قال: عَظُم، قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين،

أب وأم، قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليَّ شيء لقتلني، قال: فكيف أقول؟ قال: قل «كم مضى من عمرك».

الكرماء يد بيضاء

أتى روح ابن حاتم برجل كان متلصصًا في الطريق، فأمر بقتله فقال: أصلح الله الأمير، لي عندك يد بيضاء، قال: وما هي؟ قال: إنك جئت يومًا إلى مجمع موالينا «بني نهشل» والمجلس حافل، فلم يتحفّز لك أحد، فقممت من مكاني، ثم جلست فيه، قال ابن حاتم: صدق، وأمر بإطلاقه، وولاه تلك الناحية وضمّنه إياها.

هبة يزيد بن يزيد

قال بعضهم: كنا مع يزيد بن يزيد، فإذا نحن بصارخ في الليل ينادي قائلاً: يا يزيد بن يزيد، فقال يزيد: عليّ بالصارخ، فلما جيء به قال له: ما حملك على النداء بهذا الاسم؟ فقال: نقتب دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتمنيت به، فقال له: وما قال الشاعر؟ فأنشده:

إِذَا قِيلَ مَنْ لِلْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى فَنَادِ بِصَوْتٍ يَا يَزِيدُ بُنْ مَزِيدٍ

فلما سمع مقاله هشَّ له وقال: أتعرف يزيد بن يزيد؟ قال: لا ...
قال: أنا هو يزيد، وأمر له بفرس أبلق كان مُعجبًا به وبألف درهم وصرفه.

أكرم الأمة

دخل جعيفران — واسمه جعفر بن علي كركزي — على أبي دلف فأنشده:

يَا أَكْرَمَ الْأُمَّةِ مَوْجُودًا وَيَا أَعَزَّ النَّاسِ مَفْقُودًا
لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ سَيِّدٍ أَصْبَحَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْمُودًا
قَالُوا جَمِيعًا إِنَّهُ قَاسِمٌ أَشْبَهَ آبَاءَ لَهُ صَيِّدًا

لَوْ عَبَدَ النَّاسُ سِوَى رَبِّهِمْ لَكُنْتَ فِي الْعَالَمِ مَعْبُودًا

فقال له: أحسنت يا غلام، أعطه ألف درهم، فقال: أيها الأمير، وما أصنع بها؟ مر الغلام يأخذها ويعطيني منها كل يوم عشرة دنانير إلى أن تنفد، قال أبو دلف: أعطوه الألف، ومتى جاء أعطوه ما سأل، فأكب جعيفران على يديه يقبلهما وخرج شاكراً حامداً.

مروعة ابن جعفر

كان عبد الله بن جعفر من الأجواد الذين يعمون بجلودهم طوائف العباد، فانتهى به إلى الإفلاس وضيق عليه، إلى أن سأله رجل فقال له: إن حالتني متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان، ولكنني أعطيك ما أمكنني، فأعطاه رداء كان عليه، ثم دخل منزله وقال: اللهم استرني بالموت، فما مر بعد دعوته إلا أيام حتى مرض ومات.

الله در بني سليم

وفد عمرو بن معدي كرب الزبيدي على مجاشع بن مسعود السلمي، وكان بين عمرو وبني سليم حروب في الجاهلية، فقدم عليه في البصرة يسأله الصلة، فقال له: اذكر حاجتك، فقال له: حاجتي صلة مثلي، فأعطاه عشر آلاف درهم وفرساً من بنات الغبراء وسيفاً جرازاً ودرعاً حصينة وغلماً خبازاً، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت حاجتك؟ قال: الله در بني سليم، ما أشد في الهجاء لفاءها وأكثر في الأواء عطاءها وأثبت في المكرمات بناها.

الكريم والعاشق

رجع أسماء بن خارجة يوماً إلى داره فرأى فتى بالبواب جالساً فقال: ما أجلسك هاهنا؟ قال: خير، قال: والله لتخبرني، قال: جئت سائلاً أهل هذه الدار ما أكل، فخرجت إليّ جارية اختطفت قلبي وسلبت عقلي، فأنا جالس لعلها تخرج ثانية فأنظر إليها، قال: أتعرفها إذا رأيته؟ قال: نعم فدعا كل من في الدار من الجواري وجعل يعرضهم عليه واحدة بعد أخرى حتى مرّت الجارية، فقال: هذه فقال: قف مكانك حتى أخرج إليك، ثم دخل وخرج والجارية معه فقال للفتى: إنما أبطأت عليك لأنها لم تكن لي إنما كانت

لإحدى بناتي، ولم أزل بها حتى ابتعتها منها، خذ بيدها فإني قد وهبتها لك، وهذه الألف أصلح بها من شأنك.

إكرام النفس

قال الأصمعي: اجتزت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من الحي وعلى كتفه جرة وهو ينشد ويقول:

وَأَكْرِمَ نَفْسِي إِنَّنِي إِن أَهَنْتُهَا وَحَقَّقَ لَمْ تَكْرَمَ عَلَيَّ أَحَدٍ بَعْدِي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا، فقال: نعم، وأستغني عن سفيه مثلك إذا سألته يقول صفح الله لك، فقلت: تراه عرفني، فأسرعت فصاح بي يا أصمعي، فالتفت إليه فقال:

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قَلَلِ الْجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنْنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ كَسْبٌ فِيهِ عَارٌ وَكُلُّ الْعَارِ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ

الثقلاء

الثقيل والدواء

قيل لمحمد بن زكريا الرازي: أيهما أمر؟ الثقيل المبرم أم شرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم؟ فقال: ما أكسب الدواء إن أعقبه الشفاء، فإن مجالسة الثقيل تُجلب الإسقام وتحلل الأجسام وتورث الأحزان وتؤلم الأبدان وتهلك الأركان، وشرب الدواء يجلو الأجسام ويحلل الإسقام ويدفع الأحزان وينشط الكسلان ويقوي الأبدان.

الضيف الثقيل

دخل ثقيل على صاحب بن عباد فأطال الجلوس وأبرم في المحادثة، فكتب صاحب رقعة وأعطاه إياها فقرأها فإذا فيها:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الدَّارَ تَمْلِكُهَا حَتَّى نَقُومَ فَنَبْغِي غَيْرَهَا دَارًا
أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ الدَّارَ أَمْلِكُهَا فَقُمْ لِكِي تَذْهَبَ الْأَشْجَانُ وَالْعَارَا

وثقيل آخر

قصد حماد الراوية دار مطيع إياس، فكتب إليه يسأله الدخول عليه:

هَلْ لِيْهِ حَاجَةٌ إِلَيْكَ سَبِيلُ لَا يُطِيلُ الْجُلُوسَ فِيمَنْ يُطِيلُ

فلما قرأها أجابه:

أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ ثَقِيلُ وَكَثِيرُ مَنْ الثَّقِيلِ الْقَلِيلُ

آباء وأبناء

عدي بن حاتم وابنه

حُكي أن عدي بن حاتم الطائي أقام مأدبة فقال لولده — وكان صغيراً —: يا ولدي، أقم على الباب، وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف، فقال: والله لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع أحد عن طعام، فقال عدي: والله يا ولدي أنت أكرم مني وأفطن، افتحوا الباب لمن شاء فليدخل.

أعرابي يرثي ولده

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ
فَإِن تَقْطَعِي مِنكَ الرَّجَاءَ فَإِنَّهُ
أَجَابَ الْبُكَاءَ طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وقال آخر:

بُنِيَ لِنِّى ضَنْتٌ جُفُونٌ بِمَائِهَا
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ
لَقَدْ قَرِحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ

وأعرابي آخر يرثي ابنه

مات ابن الأعرابي فاشتد حزنه عليه، وكان الأعرابي يُكنّى به فقيل له: لو صبرت لكان عظم ثوابك، فقال:

بأبي وأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ بِيَدِي وَوَدَّعَنِي بِمَسَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوكُ وَكَيْفَ صَبْرِي بَعْدَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أُكْنَى بِهِ

الأم التكلّي

قيل لأعرابية مات ولدها: ما أحسن عزائك؟ قالت: إِنَّ فَقْدِي إِيَاهُ أَمْتَنِي فَقَدْ كُلُّ سِوَاهُ،
وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبُ بَعْدَهُ، ثُمَّ أَنْشَدَتْ تَقُولُ:

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَاطِرِي فَعَمِيَ عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْدِّيَا رَ حَفَائِرُ وَمَقَابِرُ
إِنِّي وَغَيْرِي لَا مَحَا لَهُ حَيْثُ صِرْتُ لَصَائِرُ

مع الحكماء

كاتب ونديم

فاخر كاتب نديماً فقال: أنا للجد وأنت للهزل، أنا للحرب وأنت للسلم، أنا للشدة وأنت للذة، فقال له نديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة، أنا للحضرة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مؤانس، تذوب لراحتي وتشقى لما فيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين.

مُعلِّم المُعلِّم

قال عمر بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما أحببت والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تُملِّهم منه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يُحكموه؛ فإن ازدحام الكلام في القلب مشغل للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة السفهاء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك.

معاقي ومبتلى

مرض عمر بن العلاء فدخل عليه رجل من أصحابه فقال له: أريد أن أساهرك الليلة قال له: أنت معاقي وأنا مبتلى، فالعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعني أن أنام، وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر.

الراهب

قال عمر البناني: مررت براهب في مقبرة وفي كفه اليمنى حصى أبيض وفي اليسرى حصى أسود، فقلت: يا راهب، ماذا تصنع هاهنا؟ فقال: إذا فقدت قلبي أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها، قال: وما هذه الحصى التي في كفك؟ قال: أما الحصى الأبيض فإذا عملت حسنة ألقيت واحدة منها في الأسود، وإذا عملت سيئة ألقيت من هذا الأسود واحدة في الأبيض، فإذا كان الليل نظرت، فإن زادت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردي، وإن زادت السيئات على الحسنات لم أكل طعاماً ولم أشرب شرباً في تلك الليلة، هذه هي حالتي والسلام.

الزاهد

قال محمد بن رافع: أقبلت من بلاد الشام، فبينما أنا في بعض الطريق رأيت فتى عليه جبة من صوف وبيده ركوة فقلت: أين تريد؟ قال: لا أدري، قلت: من أين جئت؟ قال: لا أدري، فظننته موسوساً، فقلت: من خلفك؟ فاصفر لونه حتى خُيِّلَ كفه قد صُبِغ بالزعفران، ثم قال: حَلَفَني من لا يغيب عنه مثقال ذرة مما في الأرض والسماء، فقلت: رحمك الله، أنا من إخوانك، وممن يأنس إلى أمثالك فلا تقبض مني، فقال: إني والله أود لو جاز لي نزل القفار حتى أنفرد في وادٍ سحيق صعب المنال أو في غابة لعلِّي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها.

فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتى استحققت منك هذا البغض؟ فقال: جناياتها العمى عن جناياتها، فقلت: هل من دواء تُعالج به من هذا العمى؟ فقال: ما أراك على هذا العلاج، فاستعمل الدواء أصبره.

فقلت: صف دواء لطيفاً، قال: فما دوائك؟ قلت: حبُّ الدنيا، فتبسم وقال: أي داء أعظم من هذا، ولكن أشرب السموم الطرية والمكاره الصعبة، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم الوحشة التي لا أنس فيها والفرقة التي لا اجتماع معها.

قلت: ثم ماذا؟ قال: السلوى عما تريد والصبر عما تحب، فإن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الغش؛ فإنه كقطع الليل المظلم، قلت له: دلني على عمل يقربني إلى الله عز وجل، فقال: يا أخي، قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أفضل من البر والإحسان، ثم غاب عني ولم أره.

نعم الصديق

يُحْكِي أَنْ رَجُلًا أَرَادَ صَحْبَةَ إِنْسَانٍ فَسَأَلَ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ عَنْهُ فَأَنْشَدَهُ:

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَخْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ
وَيُبْدِي لَكُمْ حُبًّا شَدِيدًا وَهَيْبَةً وَلِلنَّاسِ أَشْغَالٌ وَحُبُّكَ شَاغِلُهُ

قال مثل هذا ينبغي أن تناط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب.

ذل المعصية وعز الطاعة

قال أبو علي الدقاق: ظهرت علة ليعقوب بن الليث أعتت الأطباء فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهيل بن عبد الله، لو دعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له، فاستحضره وقال له: ادعُ الله سبحانه وتعالى لي، فقال سهيل: كيف يستجيب الله دعائي فيك وفي حبسك مظلوم؟ فأطلق كل من كان في حبسه، فقال سهيل عندئذ: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة، وخرج عنه فعوفي بعد مدة، واستدعى سهيل وعرض عليه مالا فأبى أخذه.

الراهب وحب الدنيا

قال عبد الواحد بن زيد: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين، فناديته: يا راهب، فلم يجبني، فناديته ثانية فلم يجبني، فناديته الثالثة فأشرف عليّ وقال: يا هذا، ما أنا براهب، إنما الراهب من رهب الله عز وجل في سمائه وعظمه في كبريائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذلل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وفكر في حسابه وعقابه، فنهاره صائم وليله قائم، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار، فذلك هو الراهب، أما أنا فكلب عقور، حبست نفسي بهذه الصومعة لأبعد عن الناس لئلا أعقرهم بلساني، فقلت: يا راهب، ما الذي قطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه؟ فقال: يا أخي، لم يقطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب والمعاصي، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه وأقبل على ما يُقربه من ربه.

عبد الله بن طاهر والرجل

وقف رجل لعبد الله بن طاهر في طريقه فناشده أن يقف له حتى ينشده ثلاثة أبيات، فوقف وقال له: قل فأنشد:

إِذَا قِيلَ أَيُّ فَتًى تَعْلَمُونَ أَهْشَ إِلَى الضَّرْبِ بِالذَّابِلِ
وَأَضْرَبَ لِلْقَرْنِ يَوْمَ الْوَعَى وَأَطْعَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَاجِلِ
أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكْفُ الْأَنَامِ إِشَارَةً غَرَقَى إِلَى سَاجِلِ

فأمر له بخمسين ألف درهم وانصرف.

سحنون والخصال الأربع

قال أحد الصالحين: رأيت سحنون بالطواف وهو يتماثل، فقبضت على يده وقلت: يا شيخ، بحق موقفك بين يديه، ألا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك إليه؟ فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

وَمُكْتَبٌ لَحِ السَّقَامُ بِجَسَمِهِ كَذَا قَلْبُهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ سَقِيمُ
يَحِقُّ لَهُ لَوْ مَاتَ خَوْفًا وَلَوْعَةً فَمَوْقِفُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ عَظِيمُ

ثم قال: يا أخي، أخذت نفسي بأربع خصال أحكمتها، فأما الخصلة الأولى أني أمتُّ مني ما كان حيًّا وهو هوى النفس، وأحييت مني ما كان ميتًا وهو القلب.
وأما الثانية: فإني أحضرت ما كان غائبًا عني وهو حظي من دار الآخرة، وغيبت عني ما كان عندي حاضرًا وهو نصيبي من الدنيا.
وأما الثالثة: فإني أبقيت ما كان فانيًا عندي وهو النفي وأفنيت ما كان باقيًا عندي وهو الهوى.

وأما الرابعة: فإني آمنت بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي إليه تشتكون، ثم ولَّى عني يقول:

رُوحِي إِلَيْكَ بِكُلِّهَا قَدْ أَقْبَلْتُ لَوْ كَانَ فِيكَ هَلَاكُهَا مَا أَقْلَعْتُ

تَبْكِي عَلَيْكَ تَحَوُّفًا وَتَلَهُّفًا حَتَّى يُقَالَ مِنَ الْبُكَاءِ تَقَطَّعَتْ

زاهد في الطريق

قال بعضهم رأيت في طريق مكة فتى يتبختر في مشيته كأنه صحن داره، فقلت له: ما هذه المشية يا فتى؟ فقال: هذه مشية الفتیان خُدام الرحمن، ثم أنشد:

أَتِيَهُ بِكَ افْتِخَارًا غَيْرَ أَنِّي أَذُوبُ مِنَ الْمَهَابَةِ عِنْدَ ذِكْرِكَ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ لِمْتُ شَوْقًا وَاجْتِلَاً لِأَجْلِ عَظِيمِ قَدْرِكَ

فقلت له: وأين زادك وراحتك؟ فنظر إليّ منكرًا قولي ثم قال: أَرَأَيْتَ عَبْدًا ضَعِيفًا قاصدًا مولى كريمًا حمل إلى بيته طعامًا وشرابًا؟ فلو فعل ذلك لأمر الخُدام بطرده عن بابهِ، إن المولى جَلَّتْ قدرته لما دعاني إلى القصد إليه أورثني حسن التوكل عليه، ثم غاب عني وما رأيته بعد.

خير الدواء

مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أحد شوارع البصرة، فإذا هو بحلة كبيرة والناس حولها يمدون إليها الأعناق ويشخصون إليها الأحداق، فمضى إليهم ينظر ما سبب اجتماعهم، فإذا فيهم شاب حسن الشباب نقي الثياب عليه هيئة الوقار وسكينة الأخيار وهو جالس على كرسي والناس يأتون بقوارير من الماء وهو يداوي المرضى ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من أنواع الدواء، فتقدّم إليه وقال: عليك السلام أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته، هل عندك شيء من أدوية الذنوب فقد أعيا الناس دواؤها؟ فرفع الطبيب رأسه بعدما رد السلام وقال: أتعرف أدوية الذنوب بارك الله فيك؟ قال: نعم، قال: صف وبالله التوفيق، قال: تذهب إلى بستان الإيمان فتأخذ من «عروق» حسن النية ومن «حَبِّ» الندامة و«ورق» التدبير و«بذر» الورع و«ثمر» العفة و«أغصان» اليقين و«لب» الإخلاص و«قشور» الاجتهاد و«عروق» التوكل و«أكمام» الاعتبار و«ترياق» التواضع، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر وافركها بأنامل من التصديق وكف من التوفيق، ثم نضعها في

«طبق» التحقيق، ثم نغسلها بماء الدموع، ونضعها في «قدر» الرجاء، ثم توقد عليها بنار الشوق حتى ترغي زبد الحكمة، ثم نفرغها في «صحاف» الرضا، وترَوِّح عليها بمراوح الاستغفار ينعقد لك من ذلك «شربة» جيدة تشربها في مكان لا يراك فيه أحد غير الله، فإن ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب، ثم أنشأ الطبيب يقول:

يَا خَاطِبَ الْحَوْرَاءِ فِي خِدْرِهَا شَمَّرُ فَتَقَوَى اللَّهِ مِنْ نَهْرِهَا
وَكُنْ مُجِدًّا وَلَا تَكُنْ وَاِنِيًّا وَجَاهِدِ النَّفْسَ عَلَى سَيْرِهَا

ثم شفق شهقة فارق بها الحياة الدنيا: فقال والله إنك لطبيب الدنيا وطبيب الآخرة، ثم أمر بتجهيزه ودفنه.

داء ودواء

قال أبو القاسم الجنيد: أُرِّقْتُ لَيْلَةً فَفَقَمْتُ إِلَى وَرْدِي فَلَمْ أَجِدْ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنَ الْحَلَاوَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنَامَ فَلَمْ أَرَقْدُ، فَفَقَعْتُ فَلَمْ أَطُقِ الْقَعُودَ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ وَخَرَجْتُ، فَإِذَا بِرَجُلٍ مَغْطًى بِعَبَاءَةٍ مَطْرُوحٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِي رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِلَى السَّاعَةِ؟ فَقُلْتُ: قَمْتُ يَا سَيِّدِي مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ، فَقَالَ: بَلَى، سَأَلْتُ مُحَرِّكَ الْقُلُوبِ أَنْ يَحْرِكَ إِلَيَّ قَلْقَكَ، قُلْتُ: قَدْ فَعَلَ، فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: مَتَى يَصِيرُ دَاءُ النَّفْسِ دَوَاءً؟ قُلْتُ: إِذَا خَالَفَتِ النَّفْسُ هَوَاهَا صَارَ دَوَاؤُهَا، فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ لَهَا: اسْمَعِي، لَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهَذَا الْجَوَابِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَأَبَيْتِ إِلَّا أَنْ تَسْمَعِيهِ مِنَ الْجَنِيدِ، فَقَدْ سَمِعْتُ، وَانصَرَفَ عَنِّي وَلَمْ أَعْرِفْهُ وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ.

سعدون المجنون

قال مالك بن دينار: دخلت جبَّانةً بالبصرة، فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت له: كيف حالك؟ قال: يا مالك، كيف يكون حال من أصبح وأمسى يريد سفرًا بعيدًا بلا أهبة ولا زاد، ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد؟ ثم بكى بكاء شديدًا، فقلت: ما يُبْكِيكَ؟ فقال: والله ما بكيت حرصًا على الدنيا ولا جزعًا من الموت والبلاء، ولكن بكيت ليوم مضى من

عمري لم يحسن فيه عملي، أبكاني والله قلة الزاد وبُعد المفازة والعقبة الكتود، ولا أدري بعد ذلك أأصير إلى الجنة أم إلى النار؟

فسمعت منه كلام حكمة فقلت له: إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال: وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا؟ زعم الناس أنني مجنون وما بي جُنة، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي وعظمي، فأنا والله من حبه هائم مشغوف، فقلت: يا سعدون لم لا تجلس الناس وتخالطهم؟ فأنشد يقول:

كُنْ عَنِ النَّاسِ جَانِبًا وَارْضَ بِاللَّهِ صَاحِبًا
قَلْبُ النَّاسِ كَيْفَ شِئَتْ تَجِدُهُمْ عَقَارِبًا

خذوا الحكمة

قال ذو النون المصري: وُصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل «أكام» فقصدته، فسمعته يقول بصوت حزين وبكاء وأنين:

يَا ذَا الَّذِي أَنَسَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهِ أَنْتَ الَّذِي مَا سَوَاكَ أُرِيدُ
تَفَنَّى اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ بِأَسْرِهِ وَهَوَاكَ غُصْنٌ فِي الْفُؤَادِ وَحِيدُ

قال ذو النون: فتبعت الصوت، فإذا بفتى حسن الوجه جميل الصوت، وقد ذهب تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفر واحترق، وهو يشبه الولد الحيران، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام وبقي شاخصًا يقول:

أَعْمَيْتَ عَيْنِي فِي الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا فَأَنْتَ وَالرُّوحُ مِنِّي غَيْرُ مُفْتَرِقِ
إِذَا ذَكَرْتُكَ وَأَفَى مُقْلَتِي أَرْقُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَلَقِ
وَمَا تَطَايَرْتُ الْأَحْدَاقَ عَنْ سِنَةٍ إِلَّا رَأَيْتُكَ بَيْنَ الْجِفَنِ وَالْحَدَقِ

قال: يا ذا النون، ما حداك إلى طلب المجانين؟ قلت: أومجنون أنت؟ قال: نعم، وماذا تريد؟ قال: مسألة، قال: سل، قلت: أخبرني ما الذي حَبَّبَ إليك الانفراد وقطعك عن

المؤانسین وهیَمَک فی الأدویة والجبال؟ فقال: حبی له هیمنی وشوقی إلیه هیجنی، قال: یا ذا النون، هل أعجبک کلام المجانین؟ قلت: أی والله أشجانی، ثم غاب عني فلم أدْرِ إلى أين ذهب.

الزاهدة

قال ذو النون المصري: رأیت امرأة تسبح على طریق النیل وعليها مدرعة من شعر ومقنعة من صوف، فقلت لها: یرحمک الله، لیس السباحة للنساء، فقالت: إلیک یا مغرور، ألسنت تقرأ کتاب الله؟ قلت: بلى، قالت: اقرأ.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^١.

فقلت: إنها مُلَمَّة بالعلم، فقلت لها: وبأي شيء عرفت الله؟ قالت: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله، فقلت لها: وما اسم الله؟ قالت: إن اسم الله هو الأعظم.

المسافر الحزين

قال عبد الواحد بن زيد: رأیت راهباً وعليه مدرعة شعر سوداء، فقلت: ما الذي حملك لبس السواد؟ قال: هو لباس المحزونين وأنا من أكبرهم، فقلت له: ومن أي شيء محزون؟ قال: إني أصبت في نفسي، وذلك أنني مت لها في معركة الذنوب، فأنا حزين عليها، ثم أسبل دمعة، قلت: وما الذي أبكاك الآن؟ قال: ذكرت ما مضى من أجلي ولم يحسن فيه عملي، فبكائي لقلّة الزاد وبُعد المفازة وعقبة لا بد لي من صعودها، ثم لا أدري أين تهبط بي على الجنة أم إلى النار؟ ثم أنشد:

يَا رَاكِبًا يَطْوِي مَسَافَةَ عُمْرِهِ بِاللّهِ هَلْ تَدْرِي مَكَانَ نَزُولِكَا
شَمْرٌ وَقَمٌ مِنْ قَبْلِ حَطِّكَ فِي الثَّرَى فِي حُفْرَةٍ تُبْلَى بِطُولِ حُلُولِكَا

ثم استأذنتني وذهب لأنه صار وقت الصلاة فرجعت من حيث أتيت.

^١ النساء: ٩٧.

السيدة العجوز

قال صالح: رأيت في محراب داود عجوزًا عليها مدرعة شعر، وقد كُفَّ بصرها وهي تصلي وتبكي، فتركت صلاتي ووقفت أنظر إليها، فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلى السماء وأنشدت:

أَنْتَ سُؤْلِي وَعِصْمَتِي فِي حَيَاتِي أَنْتَ دُخْرِي وَعُدَّتِي فِي مَمَاتِي
يَا عَلِيمًا بِمَا أَكُنُّ وَأُخْفَى وَيَمَا فِي بَوَاطِنِ الْخَطَرَاتِ
لَيْسَ لِي مَالِكٌ سِوَاكَ فَأَرْجُو لِدَفْعِ الْعِظَائِمِ الْمُؤِيقَاتِ

فسلمت عليها وقلت لها: ما الذي أوجب ذهاب عينيك؟ قالت: بكائي على ما فرط مني في مخالفتي الله ومعصيته، وما كان من تقصيري عن ذكره في خدمته، فإن عفاني سيدي عوضني في الآخرة خيرًا منها، وإن لم يعف عني فما حاجتي بعين تُحرق في النار؟ فبكيت رحمة لها، فقالت: يا سيدي، هل لك في أن تقرأ علي شيئًا من كتاب مولاي؛ لأنه قد طال شوقي إليه؟ فقرأت لها هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^٢ قالت: يا صالح ومن خَدَمَ حق الخدمة؟ ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من سمعها وسقطت عليّ، فأردت إنهاضها فإذا بها قد فارقت دنياها.

الطريق إلى الله

قال السري السفطي: قعدت يومًا أتكلم بجامع المدينة، فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه، فوعظت فسمعني أقول في وعظي: «عجبًا لضعيف كيف يعصي قوياً؟!» فتغير لونه وانصرف، فلما كان الغد جلست في مجلسي، وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سري؟ سمعتك بالأمس تقول: «عجبًا لضعيف كيف يعصي قوياً» فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من المولى ولا أضعف من العبد وهو يعصاه، فنهض وخرج، ثم أقبل في الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد وقال: يا سري، كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن

^٢ الأنعام: ٩١.

أردت الله عز وجل فاترك كل شيء سواه تصل إليه، ولا تسكن إلا المساجد والخرائب والمقابر، فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب المسالك والطرق، وولّى خارجاً.

فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثيرون فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه، إلا أن رجلاً جاء بصفة «كذا وكذا» فجرى معه «كذا وكذا» ولا أعلم حاله، فقالوا: بالله عليك، متى عرفت حاله عرفنا ودلنا على داره، فبقيت سنة لا أعرف خبراً، فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء جالس في البيت، وإذا بطارق فأذنت له بالدخول، فإذا أنا بالفتى وعليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عنقه وبيده زنبيل فيه نوى، فقبل بين عيني وقال: يا سري، أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رِق الدنيا، فنظرت فأومأت إلى صاحبي أن أمضي إلى أهله فأخبرهم، فمضى، فإذا بزوجه قد أقبلت ومعها ولده وغلمانها، فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حُلّ وحُلّ وقالت له: يا سيدي، أرملتني وأنت حي، وأيتمت ولدك وأنت حي.

قال السري: فنظر إليّ وقال: يا سري: ما هذا وفاء؟ ثم أقبل عليهما وقال: والله إنكما لثمرة فؤادي وحبّة قلبي، وإن هذا ولدي وأعز الخلق عليّ، إلا أن هذا السري أخبرني أن من أراد رضا الله انقطع عما سواه، ثم نزع ما على الصبي وأراد أخذ ما معه فقال المرأة، والله لا أقدر أن أرى ولدي في هذه الحالة، وانتزعته منه، فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: قد ضيّعتم عليّ ليلتي، بيني وبينكم الله، وولى خارجاً، فضج أهل الدار بالبكاء فقالت المرأة: إن عاد يا سري أو سمعت عنه خبراً فأعلمني إن شاء الله.

فلما كان بعد أيام أتتني عجوز، وقالت: يا سري، في جهة كذا غلام يسألك الحضور، فمضيت، فإذا أنا به مطروح على الأرض وتحت رأسه لبنة، فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: يا سري، ترى يغفر لي الله تلك الجنايات؟ فقلت: نعم، قال: أيغفر للذين مثلي؟ قلت: نعم، قال: أنا غريق، قلت: هو ملجأ الغرقى، قال: يا سري يوجد معي دراهم من لقط النوى، إذا أنا مت فاشترِ أنت ما أحْتَاج إليه وكفّني ولا تُعلم أهلي لئلا يُغيروا كفني بحرام، فجلست عنه قليلاً، ففتح عينيه، وقال: لئلا هذا فليعمل العاملون، ثم مات.

فأخذت الدراهم واشترت مما يحتاج إليه وسرت نحوه، فإذا الناس يدعون فقلت: ما الخبر؟ فقيل: مات ولي من أولياء الله، نريد أن نصلي عليه، فجيئت وغسلته وصلينا عليه ودفناه، فلما كان بعد مدة وفد أهله يسألون خبره، فأخبرتهم بموته، ورأيت امرأته فأخبرتها بحاله، فسألتني أن أريها قبره، فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه، فقالت: لا والله، فأريتها القبر وبكت وأمرت بإحضار شاهدين فحضرا فأعتقت جواريتها وأوقفت عقارها وتصدّقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت.

أصحاب القبور

قال صدفة بن مرداس البكري: نظرت إلى ثلاثة قبور على مشرف من الأرض مما يلي بلاد طرابلس، وعلى كل واحد منها شيء مكتوب، وإذا هي قبور مُسَنَّمَة على قدر واحد مصطفة بعضها إلى جنب بعض ليس عندها غيرها، فعجبت منها ونزلت إلى القرية القريبة منها، فقلت لشيخ جلست إليه: لقد رأيت في قريبتكم عجباً، قال: وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور، قال: فحديثهم أعجب مما رأيت، فقلت: حدثني بأمره، قال: كانوا ثلاثة إخوة، أحدهم أميراً كان يصحب السلطان ويأمر على المدائن والجيوش، والثاني تاجراً موسراً مطاعاً في ناحيته، والثالث زاهداً قد تخلى بنفسه وتفرّد لعبادة ربه، فحضرت المنية أخاهم العابد، فاجتمع عند أخواه، وكان الذي يصحب السلطان قد وُلِّي بلادنا هنا، وكان قد أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان في إمرته ظالماً غشوماً، فلما حضرا عند أخيهما قال له: ألا توصي؟ قال: والله ما لي مال أوصي به، ولا لي على أحد دين فأوصي به، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأسلبه، فقال له أخوه الأمير: يا أخي، قل ما بدا لك وما تشتهي أن يفعل، فهذا مالي بين يديك فأوص منه بما أحببت واعهد إليّ بما شئت لأفعله، فسكت عنه ولم يجبه، فقال أخوه التاجر: يا أخي، قد عرفت مكسبي وكثرة مالي، فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالاتفاق، فهذا مالي بين يديك فاحكم فيه بما أحببت لأنفذه لك، فأقبل عليهما وقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكن أعهد إليكما عهداً فلا يخالفني فيه أحد، قال: اعهده، إذا مت فغسلاني وادفناني على مشرف من الأرض واكتب على قبري هذا الشعر:

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ
فَيَأْخُذُ مِنْهُ ظُلْمُهُ لِعِبَادِهِ وَيَجْزِيهِ بِالْخَيْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ

ثم قال: فإذا فعلتما ذلك فأتياني كل يوم مرة على ثلاثة أيام متوالية لعلكما تتعظان

بي.

فلما مات فعلا ذلك، فكان أخوه الأمير يركب كل يوم في جنده حتى يقف على القبر فيقرأ ما تيسر ويبكي، فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع جنده فنزل وبكى، ولما أراد الانصراف سمع أنه من داخل القبر كاد يتصدع لها قلبه، فقام مذعوراً فزعاً، فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال: يا أخي، ما الذي سمعته من داخل

قبرك؟ فأجاب: أخبرت أنك رأيت مظلوماً فلم تنصره ولكن استعد لملاقاتي، قال فأصبح مهموماً، ودعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أن أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري، وإنني أشهدكم أنني لا أقيم بين أظهركم، وترك الإمارة ولزم العبادة، فكتب أصحاب عبد الملك بن مروان إليه في ذلك فكتب أن خلّوه وما أراد، فصار يأوي الجبال إلى أن حضرته الوفاة في الجبل وهو مع الرعاة، فبلغ ذلك أخاه، فأتاه وقال: يا أخي، ألا توصي؟ فقال: مالي من مال فأوصي به، ولكن أعهد إليك عهداً: إذا أنا مت وجهزني فادفني بجانب أخي واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا بِأَنَّ الْمَنَآيَا بَغْتَةً سَتُعَاجِلُهُ
فَتُسَلِّبُهُ مُلْكًا عَظِيمًا وَنِعْمَةً وَتُسَكِّنُهُ الْقَبْرَ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

قال: ثم توافيني ثلاثة أيام بعد موتي فادع لي لعل الله يرحمني.
فلما مات فعل به أخوه ذلك، فلما كان اليوم الثالث من إتيانه جاء على حسب عادته وبكى عند قبره، فلما أراد الانصراف سمع رجّة في القبر كادت تذهب بعقله، فرجع مقلقاً، فلما كان في الليل إذا بأخيه قد أتاه في منامه، قال: فحينما رأيته وثبت إليه وقلت: يا أخي، أأتيتنا زائراً؟ قال: هيهات يا أخي، بُعد المزار فلا مزار وقد اطمأنت بنا الدار، فقلت: كيف يا أخي؟ قال: ذاك مع أئمة الأبرار، قلت: وما أمرنا عندكم؟ قال: من قدّم شيئاً من الدنيا وجده، فاغنم وجودك قبل فقذك.
قال: فأصبح أخوه معتزلاً من الدنيا متخلفاً عنها، ففرّق أمواله وقسّم أرزاقه وأقبل على طاعة الله عز وجل، ونشأ له ابنٌ حسن الشباب والهيئة، فاشتغل بالتجارة، فحضرت أباه الوفاة فقال له: يا أبت، ألا توصي؟ قال: يا بني ما بقي لي مال لأوصي به، ولكن إذا أنا مت فادفني إلى جنب عمومتك واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ صَائِرٌ إِلَى جَدِّ تَبْلِي الشَّبَابِ مَنَازِلُهُ
وَيَذْهَبُ حُسْنُ الْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ سَرِيعًا وَيَبْلَى جِسْمُهُ وَقَائِلُهُ

وإذا فعلت ذلك فقاعدني بنفسك ثلاثاً وادع لي، ففعل الفتى، فلما كان في اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر له جلده وتغيّر لونه ورجع مصفراً إلى أهله، فلما أتاه الليل أتاه أبوه في منامه وقال له: يا بني، أنت عندنا عن قريب، والأمر ناجز، والموت

أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك، وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغترّ به قبلك الغافلون من طول آمالهم فقصّروا عن أمر ميعادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير ينقذهم من شر ما يلقيه المغبونون يوم الحشر، فبادر ثم بادر ثم بادر.

فدخلت على الفتى ثاني يوم فقصها عليّ وقال: ما أرى الأمر إلا وقد قرب، فجعل يوزع ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويستحل من خلطائه ومعاملية ويرتد عنهم، كهيئة رجل قد أُنذر بشيء فهو يتوقعه ويقول: قال أبي: «بادر ثم بادر ثم بادر» فهي ثلاث ساعات، وقد مضت أو ثلاثة أيام وأنّى لي بها وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك، فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق حتى إذا كان في اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودّعهم ثم أغمض عينيه ومات.

نوادير متنوعة

الأعرابي والبخلاء

وقف أعرابي بقوم فقال: يا قوم، أشكوا إليكم زمناً كلح بوجهه وأناخ عليّ بكلّكـه بعد
نعمة من المال وثروة من المال وغبطة من الحال، اعتورني بنبال عن قسي نوائيه، فما
ترك لي شيئاً ارتجي به نفعاً، فهل فيكم من معين على صرفه أو مساعد على حنقه؟
فردوا عليه ولم ينيلوه شيئاً، فولى عنهم وهو يقول:

قَدْ ضَاعَ مَنْ يَأْمَلُ مِنْ أَمْثَالِكُمْ جُودًا وَلَيْسَ الْجُودُ مِنْ فِعَالِكُمْ
لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي مَالِكُمْ وَلَا أَرَاخَ السُّوءَ عَنْ عِيَالِكُمْ
فَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ صَلَاحِ حَالِكُمْ

أشعب مطرباً

قال الأصمعي قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب بينهم، فسلموا عليه
وحادثوه ساعة وخرجوا وبقي أشعب فقال له جرير: أراك قبيحاً لثيماً، فقيم قعودك
وقد خرج الناس؟ فقال له: أصلحك الله، إنه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع مني، قال:
وكيف ذلك؟ قال: لأنني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي، فقال له جرير: أسمعني،
فاندفع جرير يغني:

يَا أُمَّ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيَّكُمْ قَبْلَ الرَّوَّاحِ وَقَبْلَ لَوَمِ الْعُزْلِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

قال: فاستخف جرير الطرب لغنائه بشعره فزحف إليه وأعنقه وقبله بين عينه
وسأله عن حاجته ففضاها له.

الضَّراير

تزوَّج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة وكانت الجديدة على باب القديمة
فتقول:

وَمَا تَسْتَوِي الرَّجْلَانِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

ثم مرت بعد أيام فقالت:

وَمَا يَسْتَوِي النَّوَّابَانِ نَوَّابٌ بِهِ الْبَلَى وَنَوَّابٌ بِأَيْدِي الْبَائِعِينَ جَدِيدٌ

فخرجت إليها القديمة فقالت:

نَقْلَ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهُوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلِ

السائل بمسجد الكوفة

قال أبو زيد: سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعط شيئاً، فذهب الرجل، وفي
العشاء عاد، وبعد أن قضيت الصلاة توجّه للقبلة، وسمعوه يدعو الله: «اللهم إني أسألك
صبراً جميلاً وفرجاً قريباً وبصراً بالهدى وقوّةً فيما تُحِبُّ وترضى، اللهم إن كان رزقي
الذي كتبت لي أجريته على أيدي هؤلاء القوم فإنني أسألك أن تكفلني» فتبادروا إليه
يعطونه فقال: والله لا أخذت الليلة شيئاً منكم، مالي سوف يأتي، ثم خرج وهو يقول:

مَا نَالَ بَازِلٌ وَجْهَهُ لِسُؤَالِهِ عَوَضًا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤَالِ
وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ السُّؤَالِ وَزَنَّتْهُ رَجَحَ السُّؤَالُ كَفَّةَ كُلِّ نَوَالٍ

الحُسَادُ الثلاثة

حُكي أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا، فتساءلوا عما بلغوه من الحسد، قال أولهم: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرًا قط لئلا أرى أثر ذلك عليه، وقال الثاني: أنت رجل صالح، أما أنا فما اشتهيت أن يفعل بأحد خيرًا قط لئلا تشير الأصابع بالشكر إليه، وقال الثالث: ما في الأرض خير منكما، لكني ما اشتهيت أن يفعل بي خيرًا أحد قط، فقالوا: ولم؟ قال: لأنني أحسد نفسي على ذلك، فقالا له: أنت ألأمننا جسدًا وأكثرنا حسدًا.

ما خاب من استشار

قال الأسلي: ركبني دَيْنٌ أثقل كاهلي، وطالبني به مستحقوه، واشتدت حاجتي، فضاقت بي الأرض ولم أهتدِ إلى ما أصنع، فشاورت من أثق به من ذوي المودة والرأي، فأشار عليّ بقصد المهلب بن أبي حفرة بالعراق، فقلت له: يمنعني بُعد المسافة، ثم أنني عدلت عن ذلك المشير إلى استشارة غيره، فلا والله ما زادني عمًا ذكره لي الصديق الأول، فرأيت أن قبول المشورة خيرٌ من مخالفتها، فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق، فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له: أصلح الله الأمير، إني قطعت إليك الهناء وضربت بأكباد الإبل من يثرب، فقد أشار عليّ ذوو الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي، فقال: هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة وعشيرة؟ فقلت: لا، ولكني رأيتك أهلاً لحاجتي، فإن قممت بها فأنت أهل لذلك، وإن يحل دونها حائل لم أذمهم يومك ولم أئس عندك، فقال المهلب لحاجبه: اذهب وادفع إليه ما في خزانة مالنا، فأخذني معه فوجد ثمانين ألف درهم فدفعها إليّ، فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحًا وسرورًا وأعادني إليه مسرعًا فقال: هل وصلك ما يقوم بسد حاجتك؟ فقلت: نعم أيها الأمير وبزيادة، فقال: الحمد لله على نجاح سعيك، واجتئناك جني مشورتك، وتصديق ظن من أشار عليك بقصدنا.

قال الأسلمي فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه:

يَا مَنْ عَلَى الْجُودِ صَاغَ اللَّهُ رَاحَتَهُ فَلَيْسَ يَحْسِنُ غَيْرَ الْبَذْلِ وَالْجُودِ
عَمَّتْ عَطَايَاكَ مَنْ بِالْشَرْقِ قَاطِبَةٌ وَأَنْتَ وَالْجُودُ مَنْحُوتَانِ مِنْ عُودِ
مَنْ اسْتَشَارَ فَبَابُ النِّجَاحِ مُنْفَتِحٌ لَدَيْهِ مَا ابْتِغَاهُ غَيْرُ مَسْدُودِ

ثم عدت إلى المدينة ووفيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشيرين عليّ، وعاهدت الله تعالى أنني لا أترك الاستشارة في جميع أمري ما عشت.

ليتهم علموني كيف أبتسم

قال أبو العباس بن حمّاه الكاتب: قصدت أبا الجيش خمارويه بن أحمد بمصر ممتدحاً له ببابه زمناً لا أصل إليه، فرثي لي كل من عرف حالي، وأرشدت إلى كثير المغني، فسرت إليه وسألته أن يشفع لي فقال: ما جرت العادة أن أكلمه في أحد، ولكن إن قدرت أن تعمل شعراً أقدمه أمام حضرته، فإن سألني عن قائله عرّفته عن حالك ما يكون فيه عائد صلاح عليك، فعملت شعراً على البديهة ودفعه إليه وهو:

كَتَمْتُ حُبَّهُمْ صَوْنًا وَتَكْرَمَةً فَمَا دَرَى غَيْرُ إِضْمَارِي بِهِ وَهُمْ
هَمَّ عِلْمُونِي الْبُكَاءُ لَا دُقْتُ فَقْدَهُمْ يَا لَيْتَهُمْ عِلْمُونِي كَيْفَ أَبْتَسِمُ

فسرت إلى أبي الجيش وأنشدته إياها، فطرب وقال: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لأبي العباس، فدعا به وأحسن جائزته.

عين الحسود

قيل لعبد الله: كيف لزمت البدو وتركت قومك؟ قال: وهل بقي في الناس إلا من إذا رأى نعمة بُهت وإذا رأى عثرة شمت، ثم أنشد:

عَيْنُ الْحَسُودِ إِلَيْكَ الدَّهْرُ نَاطِرَةٌ تُبْدِي الْمَسَاوِيَّ وَالْإِحْسَانَ تُخْفِيهِ
يَلْقَاكَ بِالْبِشْرِ يُبْدِيهِ مُكَابَرَةٌ وَالْقَلْبُ مُلْتَمِّمٌ فِيهِ الَّذِي فِيهِ

الزرقاء ومعاوية

قيل: إن معاوية بن أبي سفيان ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور، وعاونوه على أمره القدر المقدور، فاستحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى يوم الكريهة من المعروفين، فانهمكوا في القول الصحيح، وآل حديثهم إلى ما كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا: امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب علي تسمعهم كلامًا كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتلَ والمدير لأقبلَ والمسالم لحارب والفاقر لكر والمزلزل لاستقر، فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟ فقالوا: كلنا نحفظه، فقال: فما تُشيرون عليَّ بها، قالوا: نشير بقتلها؛ فإنها أهل لذلك، فقال لهم معاوية: بثسما أشرتُم به، أيحسن أن يشتهر عني أنني بعد ما ظفرت وقدرت أقتل امرأة قد وفّت لصاحبها؟ إنني إذن للثيم، لا والله لا فعلت ذلك.

ثم دعا بكاتبه وكتب كتابًا إلى واليه بالكوفة أن أوفد عليَّ الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها، ومهّد لها وطّاء لينًا ومركبًا ذلولًا. فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وأقرأها إياه، فقالت: ما أنا بزائغة عن الطاعة، فحملها في هودج وجعل غشاه خرا مبطنًا، ثم أحسن صحبتها، فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبًا وأهلًا خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت سيرك؟ قالت: خير مسيرة، قال: هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: ألسنت أنت راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفين توقنين نار الحرب وتحضين على القتال؟ قالت: نعم، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وكثر الذنب والدهر ذو عبر، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعد الأمر، فقال: صدقت، فهل تحفظين كلامك؟ قالت: لا والله، قال: لله أبوك، لقد سمعتك تقولين: «أيها الناس، إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكوكب لا يضيء مع القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، من استرشدنا أرشدناه ومن ساءلناه جابنناه أن الحق كان يطلب ضالة فاطلبوها، يا معاشر المهاجرين والأنصار مكانكم، وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق الباطل؛ فإنه لا يستوي المحق والمبطل، أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا؟ فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا وأنه خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدم، والصبر خير الأمور عاقبة، هيا إلى الحرب، هيا يا رجال».

ليس هذا القول قولك وتحريضك؟ قالت: لقد كان ذلك، قال: لقد شاركت علياً في كل دم سفكه، فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك، مثلك من بُشّر بخير ويسر جليسه، فقال: أوقد سرك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سرنى قولك، وإنى له لصديقة، فقال معاوية: والله لوفائك له بعد موته أعجب إليّ من حبك له في حياته، فاذكري حوائجك تُقضى، قالت: يا أمير المؤمنين إنى آليت على نفسي لا أسأل أحداً حاجة، فقال: قد أشار عليّ بعض من عرفك بقتلك، قالت: لؤم من المشير، ولو أطعته لشاركته، قال: كلا، بل نغفو عنك ونُحسن إليك ونرعاك، قالت: كرم منك يا أمير المؤمنين، ومثلك من قدر وعفا وتجاوز عن أساء وأعطى من غير مسألة، قال: فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها إلى وطنها، وكتب على والى الكوفة بالوصاية بها وبعشيرتها.

المنصور والرجل

قال الربيع (مولى الخليفة المنصور): ما رأيت رجلاً أربط جأشاً وأثبت جناناً من رجل سعى به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالاً لبنى أمية فأمرني بإحضاره، فأحضرتة إليه، فقال له المنصور: قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك، فقال الرجل: أنت وارث بنى أمية؟ قال: لا، قال: أوصي لك في أموالهم ورعاياهم؟ قال: لا، قال: فما مسألتك عما في يدي من ذلك؟

قال: فأطرق المنصور ثم تفكّر ساعة ورفع رأسه وقال: إن بنى أمية ظلموا المسلمين فيه، فاجعله في بيت أموالهم، قال: يا أمير المؤمنين، فتحتاج إلى بيّنة عادلة أنّ ما في يدي لبنى أمية فما خانوا به ولا ظلموا، فإن بنى أمية كانت لهم أموال غير أموال المسلمين، قال: فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: يا ربيع، ما أرى الشيخ إلّا قد صدق، وما يجب عليه شيء، وما يسعنا ألا أن نغفو عما قيل عنه، ثم قال: هل لك من حاجة؟ قال: أن تجمع بينى وبين من سعى بى إليك، فوالله يا أمير المؤمنين ما لبنى أمية عندي مال ولا سلاح، وإنما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم، فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه، فقال المنصور: يا ربيع، اجمع بينه وبين الذي سعى به، فجمع بينهما، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب، ولي عليه مسطور شرعي، فسأل المنصور الرجل فأقرّ بالمال، قال: فما حملك على السعي كاذباً؟ قال: أردت قتله ليخلص لي المال،

فقال الرجل: قد وهبتها له يا أمير المؤمنين لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك، ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي، فاستحسن المنصور فعله وأكرمه وأعادته إلى بلده مُكرماً، وكان المنصور كل وقت يقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ قط ولا أثبت من جنانته ولا من حُجته، ولا رأيت مثل حلمه ومروءته.

وعد الأمير

قال مالك بن عمارة اللخمي: كنت أجالس في ظل الكعبة أيام المواسم عبد الملك بن مروان وقبيضة بن ذؤيب وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرّة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه إذا تحدّثت وحلاوة لفظه إذا حدّث، فخلوت معه في ليلة فقلت: والله إنني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك وإقبالك على جليستك، فقال: إن تعش قليلاً ترَ العيون طامحة إليّ والأعناق نحوي متطاولة، فإذا صار الأمر إليّ فلعلك أن تنقل إليّ ركابك فلأملأنّ يديك، فلما أفضت إليه الخلافة توجهت إليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلماً رأيته أعرّض عني فقلت: لم يعرفني أو عرفني وأظهر نكره، فلما قضيت الصلاة ودخل لم ألبث أن صرخ الحاجب فقال: أين مالك بن عمارة؟ فقمتم، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فمد إليّ يده وقال: إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأما الآن فمرحباً وأهلاً، كيف كنت بعدي؟ فأخبرته فقال: أتذكر ما قلت لك؟ قال: نعم، فقال: والله ما هو بميراث أتعيناه ولا إرث ورثناه، ولكن أخبرك مني بخصال سمت لها نفسي إلى موضع ما تراه، حيث إنني ما شمتُ بمصيبة عدوّ قط، ولا أعرضت عن محدّث حتى ينتهي، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذاً بها، فكنت أأمل بهذه أن يرفع الله منزلتي، وقد فعل. يا غلام، بوّئه منزلاً في الدار، فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلاً حسناً، فكنت في ألدّ حال وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، ثم دخل عليه في وقت عشائه وغذائه فيرفع منزلتي ويقبل عليّ ويحادثني ويسألني مرّة عن العراق ومرّة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة، فتعدّيت مرة عنده، فلماً تفرّق الناس نهضتُ فقال: على رسلك فقعدت، فقال: أي الأمرين أحبُّ إليك؟ المقام عندنا مع المناصفة لك في المعاشرة أو الرجوع ولك الكرامة، فقلت: يا أمير المؤمنين، فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم، فإن أمرني اخترت رؤيته على الأهل والولد، فقال: لا، بل أرى لك

الرجوع إليهم والخيار لك بعد في زيارتنا، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك، أتراني ملأت يديك؟ فلا خير في من ينسى إذا وعد، ودّع إذا شئت صحبتك.

إذ جاءه الأعمى

قال ابن سوار: انصرفت يوماً من دار الخليفة المهدي، فلما دخلت منزلي دعيت بالطعام فلم تقبله نفسي، فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم، فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت وأحضرت فركبتها، فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت: ما هذا؟ فقال: ألفا درهم جئت بها من مستغلك الجديد، قلت: امسكها معك واتبعني.

فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر، ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعت إلى باب الأنهار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم، فعطشت، فقلت للخادم: أعندك ماء تسقينه؟ قال: نعم، ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل، فناولني فشربت، وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً على الباب فصليت فيه، فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يتلمس فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد، قلت: فما حاجتك؟ فجاء حتى جلس إلى جانبي وقال: شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء، فقلت: قل، فقال: ألا ترى إلى باب القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه، ثم زالت عنا النعم التي كنا فيها وعِميتُ، فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يصلني به فأتوصل إلى سوار، فإنه كان صديقاً لأبي. فقلت: ومن أبوك؟ قال: فلان بن فلان، فعرفته، فإذا هو كان أصدق الناس إليّ، فقلت له: يا هذا، إن الله تبارك وتعالى قد أتك بسوار ومنعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعه بين يديك، ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها إليه وقلت: إذا كان الغد فاحضر إلى منزلي.

ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذا، فأتيت فاستأذنت عليه فأذن لي، فلما دخلت عليه قال: ادفعها إلى الأعمى، فنهضت فقال: اجلس فجلست، فقال: أعليك دين؟ قلت: نعم، قال: كم دينك؟ قلت: خمسون ألفاً، فحدّثني ساعة، وقال: امض إلى منزلك، فمضيت إلى منزلي، فإذا بخادم معه خمسون ألفاً، وقال: يقول لك أمير المؤمنين أقض بها دينك، قال: فقضيت منه، فلما كان الغد أبطأ عليّ الأعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئت فقال: قد فكرت البارحة في أمرك فقلت: يقضي دينه ثم يحتاج

إلى القرض أَيْضًا؟ وقد أمرت لك بخمسة آلاف أخرى، قال: فقبضتها وانصرفت، فجاءني الأعمى فدفعت إليه ألفي دينارًا، وقلت: قد رزقك الله تعالى بكرمه وكفافك على إحسان أبيك وكافأني على إسداء المعروف إليك، ثم أعطيته شيئًا آخر من مالي فأخذه وانصرف.

القسم الثاني

في محاسن المحبوب

قال الحكم بن أبي فنين:

لَوْ قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهِ فِي النَّاسِ طَرًّا لَتَمَّ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ

قال الحكم بن قنبر:

كَأَنَّمَا الْبَدْرُ مِنْ أَزْوَاجِهِ طَلَعَا

وقال البحتري:

أَضْرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالَعُ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

وقال ابن الرومي:

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ مِنْ وَفِي بَعْدِ الْمَنَالِ

من هو كالشمس الطالعة أو الجانحة

قال قيس بن الحطيم:

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُنُوهَا لِغُرُوبِ

وقال البحري يصف مرتحله:

دَنَتِ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْشِكِ بَعْدِ دُنُو الشَّمْسِ تَجَنُّحِ لِلْأَصِيلِ

وقال علي بن الأصفهاني:

وَقَدْ خَجَلْتُ شَمْسُ الضُّحَى مِنْكَ غَدَوَةٌ فَكَانَتْ كَمَا جَاءَتْ إِلَى الشَّرْقِ تَرْجِعُ

ولكثير:

لَوْ أَنَّ عَزَّةَ خَاصَمَتِ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا

ولجميل:

لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةُ وَإِنْ كَرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعُقْبُ

من قيد النواظر لجماله

قال أبو فراس:

وَإِذَا بَدَأَ اقْتَادَتْ مَحَاسِنُهُ قَسْرًا إِلَيْهِ أَعْنَةَ الْحَدَقِ

ولابن المعتز:

مَنْظَرٌ قَيِّدٌ عُيُونَ الْوَرَى فَلَيْسَ خَلْقٌ يَتَعَدَّاهُ

من أعطى الحسن مشتهاه

قال المتنبي:

حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسَنِ قَاسِمُهُ

وقال محمد بن وهب:

قَدْ خَلَعَ الْحُسْنَ عَلَى وَجْهِهِ سِرْبَالٌ مَحْمُودٌ وَمَحْسُودٌ

حسن السافرة

قال الشماخ:

أَطَارَتِ مِنَ الْحُسَنِ الرِّدَاءُ الْمُحَبَّرَا

وقال يزيد بن الترية:

فَأَلَقْتُ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفٌّ وَمِعْصَمٌ

وقال بعضهم:

لَهَا حَاجِبَانِ الْحُسْنُ وَالْقُبْحُ مِنْهُمَا كَأَنَّهَا لَوْنَانِ مِنْ كَفٍّ عَاشِقٌ

العين المكسرة

ويستحسن في صفتها قول بشار:

حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْعَيْنَيْنِ حَمْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا

وسمع ذو الرمة إنساناً ينشد قوله:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فُعُولَانِ بِالْأَبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقال ذو الرمة «فعولان» كأنه تورّع أن يقول: «فعولين» فيكون ذلك بأمر الله تعالى.

العين الفاترة

قال البحتري:

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاضِرِيهِ مِنْ السَّقَمِ

وله:

مَا بَعَيْنِي هَذَا الْغَزَالِ الْغَرِيرِ مِنْ فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فُتُورِ

ولهارون الرشيد:

وَتَنَالُ مِنْكَ بِحَدِّ مُقْلَتِهَا مَا لَا يَنَالُ بِحَدِّهِ النَّصْلُ

ولأبي تمام:

إِنَّ لِلَّهِ فِي الْعِبَادِ مَنَایَا سَلَّطَتَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعُیُونُ

وقال جعفر المصري:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً فَكَأَنَّهَا نَظَرْتُ بِتِلْكَ الْعَيْنِ سَكِينًا شَاطِرًا

العين الساحرة

قال كشاجم:

بِاللَّهِ يَا مُتَفَرِّدًا فِي حُسْنِهِ وَمُقَلَّبًا هَارُوتَ بَيْنَ مَحَاجِرِهِ

وقال الصاحب:

وَلَوْ أَنَّ هَارُوتًا رَأَى فَتَرَ عَيْنِهِ تَعَلَّمَ كَيْفَ السَّحْرِ فِي حَدِّ جَفْنِهِ

العين الكحلء

قال صالح بن عبد القدوس:

كَلَّ الْجَمَالَ جَفُونِ أَعْيُنِهَا فَغَنَيْنَ مِنْ كَحْلِ بِلَا كُحْلِ

وقال:

كَأَنَّهُمَا مَكْحُولَتَانِ بِأَثْمِدٍ وَمَا بِهِمَا غَيْرُ الْمَلَاخَةِ مِنْ كُحْلِ

الثغر

قيل: الثغر الحسن يُحَلِّي الوجه القبيح.

قال البحتري:

كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُؤٍ مُنْضِدٍّ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحٍ

وله:

لَكَ مِنْ ثَغْرِهِ وَمِنْ حَدِّهِ مَا شَتَّتَ مِنْ أَقْحَوَانٍ أَوْ جُلَنَارٍ

الجيد

وفي الجيد قال أبو علي:

إِذَا مَا اجْتَلَى الرَّانِي إِلَيْهَا بَطْرِفِهِ غُرُوبُ ثَنَائِيهَا أَضَاءَ وَأَظْلَمَا

الأسنان

قال البحتري:

لَهَا مَبَسْمٌ كَالْبَدْرِ يَضْحَكُ عَنْ دُرٍّ

وقال الزاهر:

نُونَاتُ دُرٍّ عَلَى دَالَاتٍ مُرْجَانٍ

طيب الفم

قال المتنبي:

وَأَشْنَبُ مَعْسُولُ بَرْدِ الثَّنْيَا لَذِيذُ الْمَقْبَلِ وَالْمُبْتَسِمِ

ويقال:

فمها أعذب من برد الشراب وجسمها أعجب من برد الشباب.

من ذكر طيب فم رغم أنه لم يذقه

أول من ذكر النابغة قال:

زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذْقه أَنَّهُ يَشْفِي بَرِيقَتِهَا مِنَ الْعَطَشِ الصدى

ولبشار:

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

طيب الفم وحسن الابتسم معًا

قال ابن الرومي:

وَقَبَّلْتُ أَفْوَاهًا عَذَابًا كَأَنَّهَا يَنَابِيعُ حَمْرِ حَصْبَتِ لَوْلُؤِ الْبَحْرِ

وقال:

أَحَازِرُ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ تَسْتَشْفِنِي عُيُونُ الْغَيَارَى فِي وَمِضِ الْمَضَاحِ

وقال:

كَأَنَّ ابْتِسَامَ الْبَرْقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِذَا لَاحَ فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ ابْتِسَامُهَا

ولمسلم:

تَبَسَّمَ عَنْ مَثَلِ الْأَقَاحِي تَبَسَّمتَ لَهُ مَزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فَتَبَسَّما

وقال:

كَأَنَّ دُرًّا إِذَا هِيَ تَبَسَّمتَ مِنْ ثَغْرِهَا فِي الْحَدِيثِ يَنْتَشِرُ

الحسن الحديث والكلام

قال البحتري:

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
فَمِنْ لَوْلَى تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلَى عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

وقال بشار بن برد: كَأَنَّ حَدِيثَهَا سُكْرُ الشَّرَابِ.

وقال ابن الرومي:

إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّكْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تَوْجَزْ

أحسن النساء

قليل لأعرابي: أي النساء أحسن؟

فقال: الحسنه المفتره عن الثغر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

وصف الشعر والوجه معًا

قال بكر بن النطاح:

بَيَضاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَعَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ لَيْلٌ أَسْحَمُ
وَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّه لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

وقال ماني الموسوس:

نَشَرَتْ غَدَائِرَ شَعْرِهَا لِتُظِلَّنِي خَوْفَ الْعُيُونِ مِنَ الْوُشَاةِ الرُّمَقِ
فَكَأَنَّه وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّني صُبْحَانَ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطَبَّقِ

وقال منصور النمرى:

وَدَنْتَ عَنَّا قَيْدُ الْكُرُو مَ عَلَى الْأَهْلَةِ وَالْبُدُورِ

السوالف

قال ابن الرومي:

أَسَاءَني إِعْرَاضُهُ عَنِّي وَلَكِنْ سَرَّني
سَالِفَتَاهُ عَوْضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ

واللصنوبري:

لِلْغُصَنِ أَغْطَافُهَا وَقَامَتْهَا وَلِلرَّشَا جِيدُهَا وَعَيْنَاهَا

الصدغ

قال ابن المعتز:

أَلَمْ تَرَنِي بُلَيْتُ بِذِي دَلَالٍ خَلِيٍّ مَا يَرِقُّ وَمَا يُبَالِي
غَلَالَةً خَدَّهُ وَرَدُّ جَنِّي وَنُونُ الصَّدْغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ

وقال ديك الجن:

كَأَنَّ قَافَا أَدِيرَتْ فَوْقَ وَجْنَتِهِ وَاخْتَطَّ كَاتِبُهَا مِنْ بَعْدِهَا أَلِفَا

وللصنوبري:

عَقَرْتُ الصَّدْغَ لِمَاذَا سَأَلْتُهُ وَهُوَ وَحْدَهُ
تَلَدَّغُ النَّاسَ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَلَدَّغُ خَدَّهُ

العذار

قال أبو الفضل بن العميد:

مَنْ عُدِّيٍّ مِنْ عَذَارَى قَمَرٍ عَرَّضَ الْقَلْبَ لِأَسْبَابِ التَّلَفِ
عَلِمَ الشَّعْرُ الَّذِي عَاجَلَهُ أَنَّهُ جَارَ عَلَيْهِ فَوَقَفَ

وقال بعضهم:

رَأَيْتُ وَقَدْ لَاحَ الْعَذَارُ بِخَدِّهِ عَلَى وَجْهِهِ نَمْلًا يَدُبُّ عَلَى عَاجٍ

حسن الكف والأنامل

قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنْمٌ يَكَادُ مِنَ اللِّطَافَةِ يُعْقَدُ

ولابن المغتر:

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ لِحُجْنَةِ الْحُسْنِ عُذَابَا

وقال آخر: أطرافها تعقد من لينها.

البنان المخضبة

قال ابن الرومي:

وَكَفُّ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَبَدَتْ بَنَانَهَا عَلَى اللَّيْلِ مَخْضُوبًا فَقَمَعَهَا اللَّيْلُ

طول القامة

قال بشار:

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامُ مِنْ مَعِدٍ كَأَنَّ حَبِيبَتَهَا قَطَعَ الْجَمَانَ
إِذَا قَامَتْ لِمَشْيَتِهَا تَنَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانٍ

ولآخر:

كَأَنَّهُ فِي اعْتِدَالِهِ أَلْفُ لَيْسَ لَهُ فِي الْكِتَابِ تَحْرِيفُ

دقة الخصر

قال ابن الرومي:

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ مِنْ ضَمَرِهِ ظَمًا وَجُوعًا

وقال آخر:

مُخَصَّرُ الْخَصْرِ هَظِيمُ الْحَشَى صَغِيرُ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِينَ

وقال السري الرفاء:

ضَعُفَتْ مَعَاقِدُ خَصْرِهِ وَعَهْوُهُ فَكَأَنَّ عَقْدَ الْخَصْرِ عَقْدُ وَفَائِهِ

وللمتنبي:

وَخَصَرٌ تَثَبَّتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ نِطَاقَا

وللسري الرفاء:

أَحَاطَتْ عَيُونُ الْعَاشِقِينَ بِخَصْرِهِ فَهَنَّ لَهُ دُونَ النُّطَاقِ نِطَاقُ

وقال عباس:

بَكَى وَشَاحَاهَا وَلَمْ يُشْكِهَا وَإِنَّمَا أَبْكَاهُمَا الْجُوعُ

وقال المتنبي:

كَأَنَّمَا قَدُّهَا إِذَا انْفَلَتَتْ سَكَرَانِ مِنْ خَمَرٍ طَرَفَهَا ثَمَلُ

طيب الرائحة

وصَفَ رجل امرأة فقال:

إنها كنور يبتسم في الأسحار ونور يبتسم في الأشجار.
قال امرؤ القيس:

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبُ

وقال العباس:

فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِالْوَاشِيْنَ لَا سَلَمُوا وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدُ يَأْتِيهِمْ بِأَخْبَارِي

وللنوبجي:

إِذَا كَتَمْتُ زِيَارَتَهَا أَذَاعَ الطَّيْبُ مَا كَتَمْتُ
فَأَنْطَقَ أَلْسُنَ الْوَاشِيْنَ لَا كَانَتْ وَلَا نَطَقَتْ

الثني في المشي

قال ابن مقبل:

يَهْزُرَنَّ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مُنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبُ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا
يَمْشِيْنَ هَيْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ بِنَهَالٍ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا

البحثري:

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ

تفضيل السود

إِنَّ سَعْدِي وَاللَّهِ يَكْلَأُ سَعْدِي مَلَكْتُ بِالسَّوَادِ رِقٌّ سَوَادِي
أَشْبَهْتُ مُقْلَتِي وَحَبَّةَ قَلْبِي وَبِهَا فَهِيَ نَاطِرِي وَفُؤَادِي

وقال ابن الرومي في سوداء:

كَأَنَّهَا وَالْمَزَاحُ يُضْحِكُهَا لَيْلٌ تَقَرَّى دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ

وذكرت قصيدة ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسن بديهة:

سَكَنْتَ سَوَادَ الْعَيْنِ إِذْ كُنْتَ شَبْهُهُ فَلَمْ أَدْرِ مَنْ عَزَّ مِنَ الْقَلْبِ مِنْكُمْ
أَجِبُّكَ يَا لَوْنَ السَّوَادِ لِأَنْنِي رَأَيْتُكُمْ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ تَوَامًا

أوصاف مجموعة من الجمال

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن فقال: التي لطفت كفاها ونهد ثدياها وسال خذاها. ويقال: كأن وجهه البدر ليلة سعدته وتمامه قد رُكِبَ في غصن بان وقضيب ريحان أهيف القد أدعج العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين مسبل الذراعين أرق من الهواء والماء وأحسن من الدمى وأضوأ من النهار إذا استنار، وأبهى من سراويل الأنوار، لا يجري بوصفه الوهم ولا يبلغ نعته الفهم، كأن أنفه قصبه در وشد حسام، وكأن فمه حلقة خاتم، وكأن جيده جيد ظبي قد أتلع لرؤية قانص، سبط الأنامل لين القلب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خُلِقَ من كل قلب، فكل حسن له فيه حظ ولكل قلب إليه ميل.

وفي وصف جارية: وجهها كضوء البدر وخدها كجني الورد ولسانها ساحر وطرفها فاتر ضمها يهيج اللوعة ونطقها ينقع الغلة، ثغرها كالؤلؤ النظيم يجلو دجى الليل البهيم، ريحها كالراح المعتق ختامه كالمسك المفتق، يستجمع صنوف النعيم مجالسها ولا

يأسى على ما فاتته مالکها، صبيحة الحدقة مريضة الجفون كأن ساعدها طلعة ومعصمها
جمار وأصابعها مداري فضة، وكأن نحرها من ساج وبشرتها من زجاج.
وقال أعرابي في وصف امرأة: عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها ولطف كفها
ونعم ساعداها هي النفس ومناها.
وللمتنبي:

سَهَادٌ لِّجُفَانٍ وَشَمْسٌ لِّنَاطِرٍ وَسُقْمٌ لِّأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِّنَاشِقٍ

ما يحب أن تكون عليه الحسان.

رباعيات

يجب أن يكون في المرأة أربعة أشياء سود: شعر الرأس والحاجبان وأشفار العين والحدقة.
وأربعة بيض: اللون وبياض العين والأسنان والساق.
وأربعة حمر: اللسان والشففتان والوجنتان واللثة.
وأربعة مدورة: الرأس والعنق والساعد والعرقوب.
وأربعة طوال: الظهر والأصابع والذراعان والساقان.
وأربعة واسعة: الجبهة والعين والصدر والوركين.
وأربعة دقيقة: الحاجبان والأنف والشففتان والأصابع.

القسم الثالث

في وصف الشعر

قال الشريف الرضي:

رَأَتْ شَعْرَاتٍ فِي عِذَارِي طَلَقَةً كَمَا افْتَرَّ طِفْلُ الرَوْضِ عَنْ أَوَّلِ الْوَسْمِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا الشَّعْرُ سَالٍ بِعَارِضِي وَلَكِنَّهُ نَبَتُ السِّيَادَةِ وَالْجِلْمِ
يَزِيدُ بِهِ وَجْهِي ضِيَاءً وَبَهْجَةً وَمَا تُنْقِصُ الظُّلُمَاءُ مِنْ بَهْجَةِ النَّجْمِ

ظهور الشيب واختلاط البياض

قال الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

وقال الطائي: كالصبح أحدث للظلام أفولا.

وقال ابن الرومي:

شعراتُ في الرأسِ بيضٌ ودُعْجُ حلَّ رأسي جيلان روم وزنْجُ

من شاب قبل أوانه

قال أبو نواس:

وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِّي كَمْ هِيَ لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُذْرًا فِي النُّزُولِ بِرَأْسِي

كشاجم:

إِذَا فَكَّرْتُ فِي شَيْبِي وَسَنِّي عَتَبْتُ عَلَيْهِ فِيمَا نَالَ مِنِّي

وقال:

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ يَلْتَمُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى شَيْبًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ

وقال:

قَدْ رَأَيْنَاهُ بِالْعَشِيِّ غَلَامًا فَعَدُونَا نَعْدَهُ فِي الْكُهُولِ

وقال الموسوي:

وَعَارَضَنِي فِي عَارِضِي مِنْهُ أَنْجُمُ ظَلَمَنَ شَبَابِي وَهِيَ فِي الْقَلْبِ أَسْهُمُ

من شاب من الوقائع والشدائد

قال الحسن بن رجاء:

أَنْ يَشِبَ رَأْسِي فَمَنْ كَرِمَ لَا يَشِيبُ الْمَرْءُ مِنْ كِبَرِهِ

وقال الشريف الرضي:

وَمَا شَبْتُ مِنْ طُولِ السِّنِّينِ وَإِنَّمَا غُبَارُ حُرُوبِ الدَّهْرِ غَطَّى سَوَادِيَا

المتذمم لتعاطي ما تعاطاه في أيام الصبا

قال الواسطي: حان حصادي ولم يصلح فسادِي.
وقال البحري:

وَأَضَلَّتْ حِلْمِي فَالْتَفَتْتُ إِلَى الصَّبَا سَفَاهَا وَقَدْ جُزْتُ الشَّبَابَ مَرَاكِلا

ولأبي سعيد الرستمي:

قَبِيحٌ بِذِي الشَّيْبِ أَنْ يَطْرَبَا وَمَا لِلْمَشْيِبِ وَمَا لِلصَّبَا
أَمِنْ بَعْدِ حَمْسِينَ ضَاعَتْ سُدَى وَأَوْدَى بِهَا اللَّهُ أَيْدِي سَبَا
تَشِيمُ بَرُوقُ الدَّمَا دَائِمًا وَقَدْ شَامَتْ الْعَارِضُ الْأَشْيَبَا
وَأَقْبِحَ بِذِي عَارِضِ أَشْيِبِ إِذَا قَابَلَ الْعَارِضُ الْأَشْنَبَا
وَأَهْلَكَ وَاللَّيْلُ بَادِرٌ بِهِ فَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرَبَا

قال كثير: أتيت جميلًا أستنصحه هل أظهر الشعر فأنشدته:

وَكَانَ الصَّبَا خِذْنَ الشَّبَابَ فَأَصْبَحَا وَقَدْ تَرَكَانِي فِي مَغَانِمِهَا وَحَدِي

فقال: حسبك، أنت أشعر الناس.

وقال أحمد بن طيفور:

رَكِبْتُ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا وَنَى الصَّبَا نَزَلْتُ مِنَ التَّقْوَى بِأَكْرَمِ مَنَزِلِ
وَدَيْنَ الْفَتَى بَيْنَ التَّنَسُّكِ وَالنُّهَى وَدُنْيَا الْفَتَى بَيْنَ الصَّبَا وَالتَّغَزُّلِ

فيمَن زعم أنه ترك التصابي لغير ملالة

قال البحري:

إِنِّي وَإِنْ جَانَبْتُ بَعْضَ بَطَالَتِي وَتَوَهَّمَ الْوَاشُونَ أَنَّي مُقْصِرُ
لَيْشَوْقُنِي سِحْرُ الْعُيُونِ الْمُجْتَلَى وَيَرَوْقُنِي وَرْدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرُ

تارك الصبا قبل هجوم شيبه

قال البحري:

لَا أَجْمَعُ الْجِلْمَ وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتَ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَمْ يَنْهَنِي فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ لَكِنْ صَحَوْتُ وَغُصْنِي غَيْرَ مَخْضُودِ

مدح الشيب بالوقار والعفة

تأمل حكيم شيبه فقال: مرحباً بزهرة الحنكة وثمره الهدى ومقدمة العفة ولباس التقوى.

وروي أن إبراهيم (عليه السلام) لما بدأ الشيب بعارضيه قال: يا رب، ما هذا؟
قال: وقار.

قال: يا رب زدني وقاراً.

وعُيِّرَ حكيم بالشيب فقال: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام، وحلم يفيد مر الشهور والأعوام، ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر، قال دعبل:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ فَإِنَّهُ سِمَةُ الْعَفِيفِ وَحِلْيَةُ الْمُتَحَرِّجِ
ضَيْفٌ أَحَلَّ بِي النُّهَى فَقَرَيْتُهُ رَفَضَ الْغَوَايَةَ وَإِقْتَصَادَ الْمَنْهَجِ

ازورار النساء عن المشيب

قال: ابن الرومي:

أَعْرِ طَرْفَكَ الْمَرْأَةَ وَانْظُرْ فَإِنْ نَبَا
إِذَا سَنَنْتَ عَيْنَ الْفَتَى وَجَهَ نَفْسِهِ
بَعَيْنِكَ عَنْكَ الشَّيْبُ فَالْبَيْضُ أَعْدَرُ
فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّيْبِ أَعْدَرُ

وقال ابن المعتز:

لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشِيبي
فَكَيْفَ يُحِبُّنِي الْبَيْضُ الْكَوَاعِبُ

وقال صاحب: قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله:

فَظَلَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بِتَذَلُّ
وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَلَا تَفْعَلِي

نم الشباب بقلة الوفاء والبقاء

قال بعضهم:

لَمْ أَقُلْ لِلشَّبَابِ فِي دَعَاةِ اللَّهِ
رَازِرٌ زَارِنِي أَقَامَ قَلِيلًا
وَفِي حَفْظِهِ غَدَاةَ تَوَلَّى
سَوْدَ الصُّحُفِ بِالدُّنُوبِ وَوَلَّى

وقال منصور الفقيه:

مَا كَانَ أَقْصَرَ أَيَّامِ الشَّبَابِ وَمَا
أَبْقَى حَلَاوَةَ ذِكْرَاهُ الَّتِي يَدْعُ

تمني عوده والدعاء له

قال أبو العتاهية:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأَخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وقال النميري:

وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَ الْمُنَى لَوَدِدْتُ أَيَّامَ الصَّبَا
وَمُعَاتِبَاتٍ كُنَّ لِي وَمُدَاعِبَاتٍ لِلدُّمَى

القسم الرابع

في العزل

قال المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقال ابن المعتز:

وجاءني في قميص الليل مستترا فقممت أفرش خدي في الطريق له
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا فكان ما كان مما لست أذكره
يستعجل الخطو من خوفٍ ومن حذرٍ دُلاً وأسحب أذيالي على الأثر
مثل القلامة قد قُدت من الظفر فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وقال سعيد النصراني:

وعد البدر بالزيارة ليلاً قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل
قال لا أستطيع تغيير رسمي فكذلك الرسم في طلوع البدور
فأذا ما وفى قضيت نذوري على بهجة النهار المنير
هكذا الرسم في طلوع البدور

من صار الطيب والحلي واشياً عند زورته

قال البحتري:

وَزَارَتْ عَلَى عَجَلٍ فَاكْتَسَى
فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِئًا
لِزَوْرَتِهَا أَبْرَقُ الْحَزَنِ طَبِيبًا
وَجَرَسُ الْحَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبًا

وقال العباس:

قَامَتْ تَنْتَنِي وَهِيَ مَرْعُوبَةٌ
بَكَى وَشَاحَاها وَلَمْ يُشْكِيَا
تَوَدُّ أَنَّ الشَّمْلَ مَجْمُوعٌ
وَأِنَّمَا أَبْكَاهُمَا الْجُوعُ
فَانتَبَهَ الْهَادُونَ مِنْ أَهْلِهَا
وَصَارَ لِلْمَوْعِدِ مَرْجُوعٌ

امتناع المحبوب

قال أبو أدهم:

لَمَّا رَأَيْتُ مُعَذِّبِي
طَلَبْتُ مِنْهُ زُورَةً
أَلْفَيْتُهُ كَالْمُحْتَشِمِ
تَشْفِي السَّقِيمَ مِنَ السُّقْمِ
فَأَبَى عَلَيَّ وَقَالَ لِي
فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ

من سأل رفيقه أن يزور به صديقه

قال عوف بن سعد:

خَلِيلِيَّ عَوْجَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
وَقَوْلًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا
وَأِنْ لَمْ تَكُنْ هُنْدُ لَأَرْضِكُمَا قَصْدًا
وَلَكِنَّا جُزْنَا لِلنِّلْقَاكُمُ عَمْدًا

وقال نصيب:

بِزَيْنَبَ أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنَ الرَّكْبَ وَقُلْ إِنَّ تَمْلِينًا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ

النهي عن كثرة النظر وذمه

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

وقال النبي ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست الآخرة».
وقيل: «من كثرت لحظاته دامت حسراته».

«فضول المناظرة من فضول الخواطر»

قال أبو الفيض: خرجت حاجاً، فمررت بحي، فرأيت جارية كأنها فلقة قمر، فغطت وجهها، فقلت: يرحمك الله، أنا سفر وفيها أجر فمتعينا برؤية وجهك، فقالت:

وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتُكَ الْمَنَاطِرَ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِر عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِر

ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير، فأداموا لها النظر، فقالت: يا بني نمير، ما فعلتم بقول الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولا بقول الشاعر:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا سَعْدًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

فأطرقوا حياء.

وقال أبو العباس بن الأحنف:

وَمُسْتَفْتِحِ بَابِ الْبَلَاءِ بِنَظَرَةٍ تَزَوَّدَ مِنْهَا شُغْلُهُ آخِرَ الدَّهْرِ

وقال أبو تمام:

إِنَّ لِلَّهِ فِي الْعِبَادِ مَنَایَا سَلَّطَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعُیُونُ

النهي عن تمكين المرأة من النظر إلى الرجل

قال بعضهم: لأن يرى رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلاً.
قال ذو الرمة:

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ وَلَوْ أَحَا مَا فِي الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ أَمِينٌ
إِنَّ الْأَمِينَ وَإِنْ تَحَفَّظَ جَهْدَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَهُ سَيَخُونُ

الرخصة في النظر

قال الحسن: «النظر على الوجه الحسن عبادة».

معناه أن الرائي يقول: سبحان الله.

ورؤي شريح بقارعة الطريق، ف قيل له: ما وقوفك؟ قال: عسى أن أنظر إلى وجه
حسن أتقوى به على العبادة.
قال ابن الدمية:

يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ أَلَا كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاضِرٍ
وَلَيْسَ اكْتِحَالُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيَّةٌ إِذَا عَفَّ فِيمَا بَيْنَهُنَّ الضَّمَائِرُ

وقال مصعب بن الزبير — وكان جميلاً — لصوفي رآه يحد النظر إليه: لم تحدُّ
النظر إليّ؟

فقال: لا تنكر نظري، فإنك من زينة الله في بلاده، أما سمعت قول ابن
العلاف:

في العزل

مَا لِمَنْ نَمَتْ مَحَاسِنُهُ أَنْ يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لَكَ أَنْ تُبْدِيَ لَنَا حُسْنًا وَلَنَا أَنْ نُعْمَلَ الْحَدَقَا

وقال آخر:

أَبْرُزُوا وَجْهَهُ الْجَمِيلَ وَلَامُوا مَنْ افْتَتَنَ
لَوْ أَرَادُوا عَفَافَةً نَقَّبُوا وَجْهَهُ الْحَسَنَ

وقال تمار:

لَا تَمْنَعْنِي إِنْ نَظَرُ تُ فَلَا أَقْلُ مِنَ النَّظَرِ
دَعْ مُقْلَتِي تَنْظُرْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَضَرَّ بِهَا السَّهَرُ

من تمنى النظر إلى محبوبه والاستشفاء ببقائه

قال الخبزاري:

مِفْتَاحُ كُلِّ لَذَاذَةٍ نَظَرُ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ
طُوبَى لِعَيْنٍ أَبْصَرَتْ وَجْهَ الْحَبِيبِ بِلا رَقِيبِ

وقال ابن قنبر:

رَمَدَتْ فِي الْحُبِّ عَيْنِي فَأَكْجِلُوهَا بِالْحَبِيبِ

وقال العباس:

إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَكْثَرَ حَظَّنَا وَغَايَةَ مَا نَرْضَى بِهِ النَّظَرُ الشَّرُّ

ازدياد الوجد بالنظر

قال وهب الهمذاني:

زَوَدْتُ الْعَيْنَ مِنْ لَوَاحِظِهَا زَادًا فَكَانَ الْحِمَامُ فِي النَّظَرِ

وقال إبراهيم الموصلي:

وَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ بِكُلِّ عَيْنٍ لَمَا اسْتَقْصَتْ مَحَاسِنَهُ الْعُيُونُ

ترك الذنب على العين والقلب

قال الصولي:

فَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍّ وَصَاحِبٍ فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُوتِيتُ وَمِنْ قَلْبِي
هُمَا اعتَوَرَانِي نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أَبْقَا لِي مِنْ رُقَادٍ وَمِنْ لَبٍّ

وقال:

إِذَا لُمْتُ عَيْنِي التَّيْنَ أَضَرَّتَا بِجِسْمِي يَوْمًا قَالَتَا لِي لِمَ الْقَلْبَا
فَإِنْ لُمْتُ قَلْبِي قَالَ عَيْنَاكَ قَادَتَا إِلَيْكَ الْبَلَايَا ثُمَّ تَجَعَلُ لِي الذُّنْبَا

وقال أبو القاسم المصري:

أَلْوَمُ قَلْبِي وَنَاطِرِي فَهُمَا نَعَاوَنَا وَالنَّوَى عَلَى قَلْبِي

ترك الذنب على العين دون القلب

قال أبو تمام:

لَأُعَذِّبَنَّ جُفُونَ عَيْنَيَّ إِنَّمَا بِجُفُونَ عَيْنَيَّ جَلَّ مَا أَتَعَذَّبُ

وقال العطوي:

فَلَا عَجَبٌ وَلَا أَمْرٌ بَدِيع جَنَائِثُ الْعُيُونِ عَلَى الْقُلُوبِ

تركه على القلب دون العين

كفى بكون القلب مذنباً وداعياً إلى فعل الشر أن النفس لأماراة بالسوء.

وقال الشاعر: ألا إنما العينان للقلب رائدٌ.

وقال الشريف الرضي:

النَّفْسُ أَدْنَى عَدُوٍّ أَنْتَ حَاذِرُهُ وَالْقَلْبُ أَعْظَمُ مَا يُبْلَى بِهِ الرَّجُلُ

قلة شبع العين من النظر

قيل: لا تشبع عين من نظر ولا أذن من خبر ولا أرض من مطر.

وقال أبو العباس:

لَيْتَنِي إِذْ أَرَاهُ كُلِّي عُيُونُ فَبِعَيْنَيْنِ لَسْتُ أَشْبَعُ مِنْهُ

اختلاس النظر خشية الرقباء

قال أبو الشيص:

وَنَظْرَةٌ عَيْنٌ تَعْلَلْتُهَا حَذَارًا كَمَا نَظَرَ الْأَحُولُ
تَقَسَّمْتُهَا بَيْنَ وَجْهِ الْحَبِيبِ وَطَرَفِ الرَّقِيبِ مَتَى يَغْفُلُ

ونحوه:

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوُشَاةَ بِمَجْلِسِ فَلَيْسَ لَنَا رُسُلٌ سِوَى الطَّرْفِ بِالطَّرْفِ
فَإِنْ غَفَلَ الْوَاشُونَ فُزْتُ بِنَظْرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى السَّقْفِ

وقال أبو العيناء:

حَمِدْتُ إِلَهِي إِذْ بِلَانِي بِحُبِّهَا عَلَى حَوْلٍ يُغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّدْرُ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ

التخاطب بالنظر

قال علي بن هشام:

فَسَلَّمْتُ إِيْمَاءً وَوَدَّعْتُ خَفِيَّةً فَكَانَ جَوَابِي كَسْرُ عَيْنٍ وَحَاجِبِ

وقال ابن أبي طاهر:

وَفِي غَمَزِ الْحَوَاجِبِ مُسْتَرَاخٍ لِحَاجَاتِ الْمُحِبِّ عَلَى الْحَبِيبِ

وقال:

وَمَجْلِسٍ لَذَّةٍ لَمْ نَقَوْ فِيهِ عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدُّ الذُّنُوبِ

في العزل

فَلَمَّا لَمْ نُنْطِقْ فِيهِ كَلَامًا تَكَلَّمَتِ الْعُيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقال الهندي: اللحظ ترجمان القلب واللسان ترجمان البدن.

كون نظر المحبوب إلى محبه قاتلاً

قال ابن الرومي:

نَظَرْتُ فَأَقْصَدَتِ الْفُؤَادَ بِسَهْمِهَا ثُمَّ انْتَنَتْ عَنْهُ فَكَادَ يَهِيمُ
وَيَلَاهُ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقَعَ السَّهَامُ وَنَزَعَهُنَّ أَلِيمُ

تحير العاشق بالنظر إلى معشوقه

قال أحمد بن أبي طاهر:

عَتَابًا كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ أَعَدُّهُ لَأَلْقَى بِهِ بَدَرَ السَّمَاءِ إِذَا حَضَرَ
فَإِنْ أَخَذَتْ عَيْنِي مَحَاسِنَ وَجْهِهِ دُهِشْتُ لِمَا أَلْقَى فَيَمْلِكُنِي الْحَصَرُ

السهل اللقاء الصعب المنال

قال أبو عبيدة:

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

وقال أبو نواس:

مَبْذُولَةٌ لِلْعُيُونِ زَهْرَتُهُ مَمْنُوعَةٌ مِنْ أَنْأَمِلِ الْجَانِي
وَلَسْتُ أَحْظَى بِهِ سِوَى نَظَرٍ يَشْرِكُنِي فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ

وقال العباس:

هي الشمسُ مسكنُها في السَّماءِ فعزَّ الفؤادَ عزاءَ جَمِيلًا
فلنَ تَسْتَطِيعَ إِلَيْها الصُّعودَ وَلنَ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزولًا

من سهل بالكلام وصعب بال منازل

قال إبراهيم بن المهدي:

وَقَدْ يَلِينُ بَبْعُصِ الْقَوْلِ يَبْذُلُهُ وَالْوَصْلُ فِي وَزْرِ صَعْبٍ مَرَاقِيهِ
فَالْخِيزَرَانُ مَنِيعٌ مِنْكَ مَكْسَرُهُ وَقَدْ يُرَى لِينًا فِي كَفِّ لَأَوِيهِ

استحسان التقاء المتحابين

قال مسلم العتبري:

لَا شَيْءَ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا وَسَاكِئِهَا مِنْ وَامِقٍ قَدْ خَلَا قَرْدًا بِمَوْمُوقِ

المعانقة

وقال إبراهيم الصولي:

سَاعَدَنَا الدَّهْرُ فَبِتْنَا مَعَا نَحْمِلُ مَا نَجْنِي عَلَى السُّكْرِ
فَكُنْتُ كَالْمَاءِ لَهُ قَارِعَا وَكَانَ فِي الرِّقَّةِ كَالْخَمْرِ

وقال علي بن الجهم:

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَدْنَى فُؤَادًا مِنْ فُؤَادِ مُعَذِّبِ

في العزل

فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةٌ
مَنْ الرَّاحِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

وقال:

فَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ كَأَنَّا
مَزِجَانِ مِنْ مَاءِ الْعَمَامَةِ وَالْخَمْرِ

وقال ابن المعتز:

كَأَنَّني عَانَقْتُ رِيحَانَةً
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَا
تَنَفَّسْتَ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ
حَسِبْتَنَا مِنْ جَسَدٍ وَاحِدٍ

من ذكر تمكنه من محبوبه

قال حجلة:

حَبِيبُ جَادَ لِي بِالرَّيِّ
وَسَامَحَنِي بِمَا أَهْوَا
سَتَشْكُرُ فَعَلَهُ نَفْسُ
بَعَجَزِ الشُّكْرِ مُعْتَرِفُهُ
قِ وَالظُّلُمَاءُ مَعْتَكِفُهُ
هُ بَعْدَ التَّيِّهِ وَالْأَنْفَةِ

وقال المأمون:

يَا لَيْلَةً فُزْنَا بِهَا حُلُوءَةً
شَرَابُنَا الرِّيقُ وَكَأْسُنَا
جَامِعَةٌ فِي ظِلِّهَا الشَّمْلُ
شَفَاهُنَا وَالْقَبْلُ النُّقْلُ

تمني تقبيل الحبيب والاقتصار منه عليه

قال الصنوبري:

نَوَيْتُ تَقْبِيلَ نَارِ وَجَنَّتِهِ فَخِفْتُ أَدْنُو مِنْهُ فَأَحْتَرِقُ

تقبيل الحبيب اعتراضاً

قال ابن المعتز:

وَكَمْ عِنَاقُ لَنَا وَكَمْ قُبْلُ مُخْتَلَسَاتُ حَذَارٍ مُرْتَقِبِ
نَقَرُ الْعَصَافِيرِ وَهِيَ خَائِفَةٌ مِنَ النُّوَاطِيرِ يَانِعِ الرُّطَبِ

وقال أبو نواس:

وَعَاشِقَيْنِ التَّفَّ حَذَاهُمَا عِنْدَ التَّثَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
فَاسْتَفَيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا كَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مَوْعِدِ
لَوْلَا دِفَاعُ النَّاسِ إِيَّاهُمَا لَمَا اسْتَفَاقَا آخِرِ الْمَسْنَدِ
نَفَعُلُ فِي الْمَسْجِدِ مَا لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ الْأَبْرَارُ فِي الْمَسْجِدِ

استطابة تقبيله اختلاسا واختفاء:

قال ابن سكرة:

سَأَلْتُهُ فِي صَحْوِهِ قُبْلَةً فَرَدَّنِي وَالْمَوْتُ فِي رَدِّهِ
حَتَّى إِذَا السُّكْرُ ثَنَى جِيدَهُ قَبَّلْتُهُ أَلْفًا بِلَا حَمْدِهِ

وقال الحسن بن وهب: قبَّلْتُهَا فوجدت بين شفتيها ريحاً لو نام فيها المخمور

لصحا.

وقال الصابئ:

أَقْبَلْتُ ثُمَّ قَبَلْتُ ظَهْرَ كَفِّي قُبْلَةً تَنْقَعُ الْغَلِيلَ وَتَشْفِي
فَتَأْخُذُ فَمِي عَلَيْهَا وَوَدَّتْ شَفَتِي أَنَّهَا هُنَالِكَ كَفِّي
فَعَضَضْتُ يَدَ الَّتِي قَبَلْتُهَا بِفَمٍ حَاسِدٍ يُرِيدُ التَّشْفِي

وقال الموسوي:

وَمُقْبِلٌ كَفِّي وَوَدَّتْ بَأَنَّهُ أَوْمًا إِلَى شَفَتِي بِالتَّقْبِيلِ

موضع التقبيل

قيل: قُبْلَةُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمَصَافِحَةِ، وَقُبْلَةُ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ الْفَمِ، وَقُبْلَةُ الْوَالِدِ الْوَلَدَ الرَّأْسِ،
وَقُبْلَةُ الْأُمِّ الْإِبْنَ الْخَدَّ.
قال أمير المؤمنين (رضي الله عنه): قُبْلَةُ الْوَلَدِ الرَّحْمَةُ، وَقُبْلَةُ الْوَالِدَيْنِ عِبَادَةُ، وَقُبْلَةُ
الْأَخِ الْأَخِ رَقَّةً، وَقُبْلَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ طَاعَةٌ.

من سأل محبوبه الوصل

قال الدمشقي:

تَعَالَ بِنَا نَعِصِي الْوُشَاةَ وَنَشْتَفِي مِنْ الْوُصْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ ثُمَّ نَتُوبُ

سؤاله عودة النائل

قال بشار:

قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً عَوْدِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ
يَا رَحْمَةً لِلَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

المستكثر قليل الوصل من حبيبه

قال بعضهم:

بُحْرَمَةٍ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأَبَى لِيَرْضِيَنِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ
مَنْ الْوَصْلِ إِلَّا عُذْتُ بِجَمِيلِ
وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِقَلِيلِ

وقال آخر:

قِفِي وَدْعِينَا يَا مَلِيحُ بِنَظْرَةٍ
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا
فَقَدْ حَانَ مِنَّا يَا مَلِيحُ رَحِيلُ
إِلَيْكَ وَكَانَ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

وقال ابن المعتز:

قُلْ لِمَنْ حَيًّا فَأَحْيَا
مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ أَبْ
مَيِّتًا يُحْسَبُ حَيًّا
كَيْفَمَا قَدْ قِيلَ فَيَّا
حَقِيتَ فِي الْكَاسِ بَقِيًّا
أَتَرَانِي مِثْلَ أَوْ لَا

الرّضا بأن حبيبه يخطر في قلبه

قال ابن الدمينه:

لَكِنْ سَاءَنِي أَنْ ثَلَّثَنِي بِمُسَاءَةٍ
لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

وقال:

رَضِيتُ بِسَعْيِ الْوَهْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَصْلِ مِنْهُ نَصِيبُ

الرضا بأن ينظر أرض حبيبه

يَقْرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَى عَقْدَاتِ الْأَبْرِقِ الْمُتَقَاوِدِ
وَإِنْ أَرَادَ الْمَاءَ الَّذِي شَرِبْتُ بِهِ سُلَيْمِي وَقَدْ مَلَّ السَّرَى كُلُّ وَاحِدِ
وَأَلْصَقُ أَحْشَائِي بِبُرْدِ تُرَابِهِ وَإِنْ كَانَ مَمْرُوجًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ

الرّضا بكونه مع الحبيب في الدنيا

قال الشاعر:

قال أبو نواس: أَرْضَى النَّاسَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ فِي قَوْلِهِ:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُنِي وَلَيْلَى أَلَا يُكَتَفِي بِذَلِكَ مَنْ تَدَانِ
تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ وَيَعْلُوهَا الظَّلَامُ كَمَا عَلَانِي

من حبيبه مناه

قال الشاعر:

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَتَرًا طَلَّهُ النَّدَى أُنِيقًا وَبِسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيًا
أَجَدَّ لَنَا طَيْبُ الْمَكَانِ وَحَسَنَهُ مَنَى فَتَمَنِينَا فَكَنتَ الْأَمَانِيَا

تمني مجاورته

قال الشاعر:

تَمَنَيْتُ فِي عَرَضِ الْأَمَانِي وَرُبَّمَا تَمَنَى الْفَتَى أُمْنِيَّةً ثُمَّ نَالَهَا
أَلَا لَيْتَ سَعْدِي جَاوَرْتَنِي حَيَاتُهَا فَتَعَلَّمَ مَا حَالِي وَأَعْلَمَ حَالَهَا

من أحب أن يجتمع بحبيبه وإن كان في شقاء

قال ديك الجن:

أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعَيْنِ فِي الْهَوَى تُضْمُّ عَلَيْنَا جَنَّةً أَوْ جَهَنَّمَ

الرضا من حبيبه بالأمانى

قال كُثير:

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ نَوَالِكِ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ

وقال كشاجم:

صَنَنْتُ بِمَوْعِدِهَا فَقُلْتُ لَهَا يَا هَذِهِ فَعِدِي بِأَنْ تَعِدِي

انتظار وعد الكاذب

قال جحظة:

يَا كَاذِبًا فِي وَعْدِهِ بِلِسَانِهِ مَنْ لِي بِمَصِّ لِسَانِكَ الْكَذَّابِ
مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا لَوَعْدِكَ مُفْرَدًا بِالْبَيْتِ مُرْتَقِبًا لِقَرَعِ الْبَابِ

قطع الأوقات بالأمانى

قال ابن المعتز:

يَا مَانِعَ الْعَيْنِ طِيبَ رَقْدَتِهَا وَمَانِحَ الْجِسْمِ كَثْرَةَ الْعِلَالِ
عَلَّمَنِي حَبْلُكَ الْمَقَامَ عَلَى الضَّمِيمِ وَقَطَعَ الْيَّامَ بِالْأَمَلِ

من يسمح بخياله ويضن بوصاله

قال البحتري:

أَهْلًا بِزَائِرِنَا الْمُلِمِّ لَوْ أَنَّهُ
جَذْلَانٌ يَسْمَحُ فِي الْكَرَى بِعِنَاقِهِ
عَرَفَ الَّذِي يَعْتَادُ مِنَ إِمَامِهِ
وَيَضُنُّ فِي غَيْرِ الْكَرَى بِسَلَامِهِ

وقال أحمد بن أبي طاهر:

فَبِتُّ بِهَا ضَيْفًا مُقِيمًا بِرَحْلِهِ
فَزَارَتْ وَمَا زَارَتْ وَجَدَتْ وَلَمْ تَجِدْ
وَبَاتَتْ بِنَا طَيْفًا يُثِيبُ وَمَا يَدْرِي
وَوَاصَلَ عَنْهَا الطَيْفُ وَهِيَ عَلَى هَجْرٍ

وقال ابن المعتز:

شَفَانِي الْخَيَالُ بِلَا حَمْدِهِ
وَكَمْ نَوْمَةٍ لِي قَوَادَةٍ
وَأَبْدَلَنِي الْوَصْلَ مِنْ صَدِّهِ
أَتَتْ بِالْحَبِيبِ عَلَى بُعْدِهِ

وقال كشاجم:

صُنْتُ بِمَوْعِدِهَا فَقُلْتُ لَهَا
يَا هَذِهِ فَعِدِي بِأَنْ تَعِدِي

من منع خياله بتسليط السهاد على محبه

قال الشاعر:

فَكَانَ يَزُورُنَا مِنْهُ خَيَالٌ
فَلَمَّا أَنْ جَفَا مَنَعَ الْخَيَالَ

قال ابن يحيى النجم:

بِأَبِي أَنْتَ لِمَ جَفَانِي خَيَالٌ
لَكَ قَدْ كُنْتُ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ

أَرْشَدَنِي إِلَى خَيَالِكَ كَيْمَا أَتَقَاضَاهُ مَوْعِدًا لِي عَلَيْهِ

قال أبو فراس الحمداني:

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ وَالنَّوْمُ فِي جُمْلَةِ الْأَحْبَابِ هَاجِرُهُ

بغض طيف ذي هجران

قال المتنبي:

إِنِّي لِأَبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحَبَّبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ

قال المهلبى:

إِنَّمَا الطَّيْفُ الْمُطْمُ فَرَحٌ يَتَلَوُّهُ هَمٌّ
قَلَمًا يُحَمَّدُ أَمْرٌ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُمُّ

قالت عابدة المهلبية:

حَظَبْتُ خَيَالَهُ فَإِذَا خَيَالٌ مُطَوَّلٌ مِثْلُ صَاحِبِهِ بَخِيلٌ
فَإِنَّ تَوَقُّعِي طَيْفًا جَوَادًا وَصَاحِبُهُ بَخِيلٌ مُسْتَحِيلٌ

من زار الخيال بالفكر

قال أبو تمام:

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّ لَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

قال المتنبي:

لَا الْحُلْمُ جَاءَ بِهِ وَلَا يَمِثَالِهِ لَوْلَا ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
إِنَّ الْمُعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالُ خِيَالِهِ
بِتَنَّا يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِنَالِهِ
فَدُنُوتُمْ وَدُنُوكُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَسَمَحْتُمْ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ

من أسهر خيال حبيبه

قال علي بن يحيى:

زَارَنِي طَيْفُ الْخَيَالِ فَمَا زَادَ أَنْ أَغْرَى بِي الْأَرْقَا

قال الفرزدق:

شَبَبْتُ لِعَيْنِكَ سَلْمَى عِنْدَ مَقْفَاهَا فَبِتُّ مُنْزَعَجًا مِنْ بَعْدِ مَرَاهَا
وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا مَا هَذَا لَنَا إِنْ كُنْتَ تِمْتَالُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا

من تمنى المنام لأجل لقاء الخيال

قال قيس بن ذريح:

وَإِنِّي لَأَهْوَى النَّوْمَ مِنْ غَيْرِ نَفْسِهِ لَعَلَّ لِقَاءَ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ
تُخْبِرُنِي الْأَحْلَامُ أَنِّي أَرَاكُمْ فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ الْمَنَامِ يَقِينُ

المخافة من تهدد الطيف

قال الشاعر:

رَجَا رَاحَةً فِي النَّوْمِ حَتَّى إِذَا غَفَا
فَقَامَ يُنَادِي وَالِدُمُوعُ بَوَادِرُ
أَتَى طَيْفٌ مِّنْ يَهْوَى يُهْدِدُ بِالْهَجْرِ
أَيَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَى قَتَلْتَ وَلَا تَدْرِي

من ذكر تسلييه عن محبوبه بما لا يسلى به

قال كثير:

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحًا فُؤَادُهُ
تَسْلَى بِأُخْرَى غَيْرَهَا فَإِذَا الَّتِي
وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
تَسْلَى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلَى وَلَا تُسْلِي

قال البحري:

وَقَالُوا تَجَنَّبَهَا تَفَقُّ فَاجْتَنَبْتُهَا
وَقَالُوا تَقَرَّبُ يُخْلُقُ الْحُبُّ أَوْ تَجِدُ
زَمَانًا فَمَا أَسْلَى فُؤَادِي التَّجَنُّبُ
عِلَالَةً قَلْبٍ فَاخْتَلَانِي التَّقَرُّبُ

امتناع النفس من الرجوع إلى من أبغضه

قال العباس:

رَدُّ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي عَنْ أَمَاكِنِهَا
أَخَفُ مِنْ رَدِّ نَفْسِي حِينَ تَنْصَرِفُ

قال الشاعر:

إِنَّ قَلْبِي أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَرَاهُ
فِي مَحَلِّ الْهَوَى لِقَلْبِكَ عَبْدًا

الراغب في محبوبته

كتب أبو نواس لما خرج من بغداد:

أَلَا قُلْ لَأَخْلَأِي وَمَنْ هُمْتُ بِهِمْ وَجَدَا
شَرِبْنَا مَاءَ بَغْدَادَ فَأَنْسَانَاكُمْ جَدًّا
خُذُوا مِنَّا فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مِنْكُمْ بُدًّا
وَلَا تَزْعُوا لَنَا عَهْدًا فَمَا نَزَعَى لَكُمْ عَهْدًا

قال كثير:

فَإِنْ سَأَلَ الْوَأَشُونَ فِيمَ هَجَرْتُهُمْ فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيتَ فَتَسَلَّتْ

التسلي عن رغب في غيرك

قال الخبزاري:

اذهَبْ وَهَبْتُكَ لِلَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ هَبَّ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ

وقال أبو الشيص:

إِذَا لَمْ تَكُنْ طُرُقَ الْهُوَى لِي ذَلِيلَةً تَنَكَّبْتُهَا وَأَنْحَزْتُ لِلْجَانِبِ السَّهْلِ
وَمَا لِي أَرْضَى مِنْهُ بِالْجَوْرِ فِي الْهُوَى وَلِي مِثْلُهُ أَلْفٌ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلِي

استدعاء القلب إلى التسلي

قال بشار:

وَقَدْ رَابَنِي قَلْبٌ يَكْلِفُنِي الصَّبَا وَمَا كُلُّ حِينٍ يَتَّبِعُ الْقَلْبَ صَاحِبُهُ

قال شاعر:

إِذَا اجْتَمَعَ الْجُوعُ الْمُبَرِّحُ وَالْهُوَى عَلَى الرَّجُلِ الْمِسْكِينِ كَادَ يَمُوتُ

قال جميل:

أَتَوْنِي وَقَالُوا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلْتُ بُنْيَنَةً أَبَدَالًا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا
وَعَلَّ حَبَالًا كُنْتُ أَحْكَمْتُ عَقْدَهَا أُتِيحَ لَهَا وَاشِ رَقِيقٍ فَحَلَّهَا

قال شاعر:

طَلَبْنَا دَوَاءَ الْحُبِّ يَوْمًا فَلَمْ نَجِدْ مِنَ الْحُبِّ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ مَدَاوِيَا

قال عبد الله بن طاهر:

وَكُلُّ مُحِبٍّ جَفَا مَنْ يُحِبُّ جَفَنُ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ

قال الخبزاري:

ظَبْيُ تَفَلَّتَ مِنْ حَبْلِي فَأَوْقَعَنِي فِي حَبْلِهِ أَنْ فِي عَيْنَيْهِ لِي شُرْكََا

استفتاء فقيه في الهوى

قال أبو العالية:

سَلِ الْفَتَى الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَصَمَّةٍ مُشْتَقِ الْفَوَادِ جَنَاحُ
فَقَالَ مَعَادَ اللَّهِ يُذْهِبُ التُّقَى تَلَاصُقُ أَحْشَاءٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

ومما قيل في كثرة العتاب

لَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْعِتَابِ وَأَنْنِي
أَخْشَى الْقَطِيعَةَ إِنْ ذَكَرْتُ عِتَابًا
لَذَكَرْتُ مِنْ عَثَرَاتِكُمْ وَذُنُوبِكُمْ
مَا لَوْ يَمُرُّ عَلَى الْفَطِيمِ لَشَابَا

القسم الخامس

في بعض منظومات لجامع الكتاب

قال في صباه:

رَعَى اللّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا أَلَدَّهَا
تَقَضَّتْ وَأَغْصَانُ الْحَيَاةِ جَنِيَّةُ
ثِمَارُ لَعَمْرِي لَمْ يَذُقْهَا آخِرُ الْهَوَى
هُوَ الْحُبُّ لَا لَفْظُ يَقَالُ وَإِنَّمَا
وَيَنْقَلُ مَعْنَاهَا إِلَى صُحْفِ الْهَوَى
فَمَنْ لَّمْ يَذُقْ طَعْمَ الْغَرَامِ وَمَا عَسَى
وَرَاجِعُ مَا قَدْ خُطَّ فِي صَفَحَاتِهِ
وَأَلْطَفَ ذِكْرَاهَا عَلَى مَسْمَعِ الصَّبِّ
فَمَا كَانَ لِي مِنْهَا سِوَى ثَمَرِ الْحُبِّ
عَلَى الْبُعْدِ إِلَّا هَامَ شَوْقًا إِلَى الْقُرْبِ
عَوَاطِفُ يَهْدِيهَا الْعَفَافُ عَلَى الْقَلْبِ
لِحَاطِ تَعَوُّدِنَ الْكِتَابَةِ بِالْهَدْبِ
يُلَاقِيهِ أَهْلُ الْعِشْقِ مِنْ أَلَمِ الْكَرْبِ
إِذْ لَبَكَّى الْعُشَّاقُ بِالْمَدْمَعِ الصَّبِّ

وقال:

زُرْتُهَا وَالْفُؤَادُ بِالْحُبِّ طَافِحُ
ظَبِيَّةٌ بَيْنَ لَحْظِهَا وَفُؤَادِي
وَهُوَ كَالْغَصْنِ بَيْنَ بَيْضِ الصَّفَائِحِ
لَيْسَ بَدْعُ فَلَحْظُهَا ذُو نِبَالٍ
فَأَفَاضَتْ مِنِّي الدُّمُوعُ الْفَوَاضِحُ
كَمْ مَجِبٌ غَدَا لَعَمْرِي يُكَافِحُ
حَيْثُمَا يَنْتَنِي يُصَادِفُ جَارِحُ
وَفُؤَادِي مُدْرَعُ بِالْجَوَارِحِ

وقال يصف ليالي العمر:

أَمَّا وَلَيْالِي الْبُدْرُ فِي الْخَمْسِ وَالْعَشْرِ
وَعَفَّةٌ بَثْنُ إِذْ تَنَاجَى جَمِيلُهَا
وَلَيْلِ سَرَى الْعُشَّاقِ فِي ظُلُمَاتِهِ
وَصَوْلَةٌ نَابِلِيُونَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
وَمَثْوَى كِرَامٍ أُيْنَعَتْ فِي ظِلَالِهِمْ
لَأَزْهَى مِنَ الزَّهْرِ الْمُنِيرَةِ أُنْمَا
أَزَاهِرُ تَحْكِي وَهِيَ بَيْنَ غُصُونِهَا
أَجَلَّتْ بِهِنَّ الطَّرْفُ لَيْلًا فَخَلَّتَنِي
لَيْالٍ حَوَتْ مِنْ كُلِّ غَايٍ لِعَاذَةٍ
إِذَا مَا أَرْتَنَا السَّحَرِ مِنْ لَحْظَاتِهَا
وَإِنْ هِيَ مَالَتْ فَالْقُلُوبُ لِحُسْنِهَا
وَمِنْ كُلِّ حَسَنَاءٍ انْتَهَتْ لِحَبِيبِهَا
وَكَانَتْ وَكَانَتْ مَا لَنَا وَلَعَذْلُهَا
تَنَاجِي فَتَاهَا لَا لِمِيلٍ وَأُنْمَا
وَبُنْطُمْ مِنْ آيِ الْغَرَامِ بِقَدْرِ مَا
وَتَبَسُّمٌ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ بِاسْمِ
لَقَدْ لَامَكَ الْفَتَيَانُ جَهْرًا وَحَبْدًا
فَهُمْ أَفْسَدُوا بِالْمَالِ قَلْبَكَ إِذْ غَدَا
وَلَمْ يَكْتَفُوا حَتَّى أَنْثَوْا وَطَلَّابَهُمْ
فَكُنْتُ لَهُمْ طَوْعَ الْبَنَانِ وَمَنْ يَذُقْ
عَلَى أَنَّهُمْ لَوْ أَنْصَفُوا أَجَزُّلُوا لَكُ
وَسُرُّوا بِأَنْ زَانُوا بِيضَ أَكْفِهِمْ
وَكُنْتُ وَكَانُوا فِي اثْتِلَافٍ يُزِينُهُ
وَرُحْتُ إِذَا مَا لَحْتُ يَوْمًا لِعَاشِقِ
وَلَوْ أَنَّ لُقِيَا الْقَبْرِ دُونَ لُقَا تَرَى
فَحَسْبُكَ بَلْ حَسْبُ الْمُحِبِّينَ أَنَّهُمْ

تَمِيسُ بِهَا الْغَادَاتُ خُصْرًا عَلَى خُصْرِ
بِرَائِقٍ لَفِظَ دُونَهُ رِقُّ الْحَمْرِ
وَقَدْ تَمَلُّوا مِنْ عَذْبِ مَبْسِمِهَا الدَّرِي
وَحِكْمَةُ لُقْمَانَ وَأَيْبِي نِي الْبَرِّ
ثَمَارُ النَّدَى إِنْ اللَّيْلُ فِي مِصْرِ
بِمَا فَوْقَ تِلْكَ الْقُبُعَاتِ مِنَ الزَّهْرِ
خُدُودُ ظَبَاءٍ لَحْنٍ فِي الْحُلِّ الْخُضْرِ
وَأَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
هِيَ الشَّمْسُ لَوْلَا هَالَةٌ مِنْ دُجَى الشَّعْرِ
سُقْتَنَا حِمَا الْحُبِّ مِنْ ذَلِكَ السَّحَرِ
تَمِيلُ وَإِنْ لَامَتْ فَمَا لَكَ مِنْ عُذْرِ
فَكَانَتْ وَإِيَّاهُ كَحَرْفَيْنِ فِي سَطْرِ
فَمَا هِيَ إِلَّا لُعْبَةٌ فِي يَدِ الْفَقْرِ
لِمَالٍ بِهِ تَنْجُو مِنَ الْعُسْرِ
سَتَنْتَرُ كَفَاهُ مِنَ الْبَيْضِ وَالصُّفْرِ
وَتَبْكِي وَلَكِنْ دَمْعُهَا فِي الْحَشَا يَجْرِي
هُوَ اللَّوْمُ لَوْلَا مِيلُهُمْ لَكَ فِي السَّرِّ
وَقَدْ عُوْضُوا مِنْكَ الْفُؤَادَ وَلَمْ تَدْرِ
لَعَمْرُ الْهَوَى مَا لَيْسَ يَجْمَلُ بِالْحَرِّ
مِنْ الدَّهْرِ كَأَسِ الْفَقْرِ يَخْشَى رَدَى الدَّهْرِ
مُ الْعَطَاءِ وَلَا دِينَ عَلَيْكَ سَوَى الشُّكْرِ
بَيَاضُ النَّقَى لَا سَوْدُوا جَبْهَةَ الطُّهْرِ
عَفَافٌ كَثُغَرُ زَانَهُ مَا عَلَى الثُّغْرِ
صَفَا وَدُهُ نَادَاكَ يَا رَبَّةَ الْخَدْرِ
حَمَاكَ أَنْتَنِي شَوْقًا إِلَى ذَلِكَ الْقَبْرِ
إِذَا عَشِقُوا مَا نُوَا أَسَى فِي الْهَوَى الْعُدْرِي

وقال مرتجلًا في وداع صديق:

وَدَاعُكُمْ وَاللَّهِ أَوْدَعَ مُهْجَتِي ضَرَامًا حَكَتْ نَارَ الْمَجُوسِ فَأَضْنَتْ
وَمَاذَا عَسَى يُجِدِي الْوَدَاعُ وَنِصْفُهُ بُكَاءٌ وَشَكْوَى وَازْدِيَادَ تَعْلَةٍ
فَبَلِّغْ سَلَامِي جِيرَةً قَدْ عَرَفْتُهَا عَلِيلًا وَكَانَتْ فِي الْهَوَى أَصْلَ عَلْتِي

وقال في حادثة واقعية تحت عنوان «غدر الحبيب»:

غَدَرْتُ فَغَادَرَتِ الْفُؤَادَ عَلِيلًا هَيْفَاءً أَبَدَتْ لَحْظَهَا الْمَسْلُولاَ
وَرَمَتْ شَبَاكَ لِحَاطِظَهَا وَإِذَا بِهَا صَدَّتْ فَتَى دَنَفَ الْفُؤَادِ نَحِيلًا
يَحْكِي مُعَاطِفُهَا بِرِقَّةٍ قَلْبِهِ وَبِلُطْفِهِ يَحْكِي النَّسِيمَ عَلِيلًا
مَا ضَلَّ بَيْنَ دُجَى غَدَائِرِ شَعْرَهَا حَتَّى رَأَى بِسَنَا الْعُيُونِ دَلِيلًا
فَأَتَى حِمَاَهَا زَائِرًا مُتَسَتِّرًا بِذَوِيهِ يَخْشَى فِي الْغَرَامِ عَذُولًا
حَتَّى إِذَا حَانَ الرَّحِيلُ وَصَافَحَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ مُحِبَّهَا الْمَجْهُولَ
شَعَرْتُ بِضَمٍّ أَنَامِلٍ مَا ضَمَنْتُ غَيْرَ الْغَرَامِ وَحَسْبُهَا تَعْلِيلًا
فَدَرْتُ بِمَا فِي قَلْبِهِ وَهَوَتْ بِبُوسِ رِهَا عَلَيْهِ وَقَدْ حَكَتْ إِكْلِيلًا
قَالَتْ حَبِيبِي قَدْ أَثَرَتْ بِمُهْجَتِي نَارًا وَهَاكَ يَدِي تَمِيلُ ذُبُولًا
فَأَخْمَدَ لِحَاطَهَا مِنْ فُؤَادِي قَالَ لَوْ أَخْمَدْتُهَا بِدَمِي لَكَانَ قَلِيلًا
وَعَدَا يَبْتُ لَهَا الْغَرَامَ بُعِيدَ مَا ضَاقَ الْمُقَامُ بِهِ وَخَافَ الْقِيلَا
بِرُؤَايَةِ وَرَدَتْ لَهَا مِنْهُ وَقَدْ كَانَتْ بِهَا جُمْلُ الْغَرَامِ ذُبُولًا
وَأَتَى حَبِيبَتُهُ وَقَدْ عَبَسَ الدُّجَى إِذْ خَالَ فِي بَدْرِ السَّمَاءِ أَفُولًا
وَعَدَا وَقَدْ نَثَرَ الدُّمُوعَ كَوَاكِبًا شَمْسُ الْحَبِيبَةِ خَاشِعًا مَخْذُولًا
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَا وَسَاءَ لَهَا الَّذِي تَذَرَى بِدَمْعِ السُّحْبِ فَاضَ سَيْوَلًا
وَلَكُمْ وَدَدْتُ بِأَنْ أُرَانِي سَائِلًا تَهْوَاهُ كَانَ جَوَابُهَا التَّقْبِيلَا
أَوْ أَنْ تَكُونَ طَبِيبَتِي فِي عِلَّةٍ يَوْمًا وَالتَّقِي ذَلِكَ الْمَسْئُولَا
أَوْ أَنْ أَبَارِزُهَا فَتَلْقِيَنِي بِنَبِلٍ أَغْدُو بِهَا طُولَ الْحَيَاةِ عَلِيلَا
وَعَدُوا إِلَى أَهْلِ الْفَتَى فَوْشُوا بِهِ لِحَاطَهَا فَوَقَّ عَزَائِمَهُمْ عَلَى مَا قِيلَا
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَصْدُقُوا التَّفْصِيلَا لَكِنَّهُمْ لَمْ يَصْدُقُوا التَّفْصِيلَا

دَرَجَاتِ سُلْمِهَا يَهَابُ دُخُولَا
تِلْكَ الْوَشَايَةِ أَكْثَرُوا التَّأْوِيلَا
بِالْحَقِّدِ أَنَّ الْمَرْءَ كَانَ عَجُولَا
لَجُوا وَمَا عَذَرُوا فَرَامَ رَحِيلَا
حِينَا فَيَدْفَعُهُ الْآبَاءُ ذَلِيلَا
هَجَرُ رَأْتُهُ لِلشَّقَاءِ سَبِيلَا
وَأَوْدَعْتُهُ مِنَ الْغَرَامِ فُصُولَا
مَارِقَ الْفَاضِلِهَا وَرَاقَ أُصُولَا
أَمْسَى بِقَيْدِ غَرَامِهَا مَغْلُولَا
رَفِقًا بِطَرْفِكَ لَا يَزَالُ كَلِيلَا
عَيْشُ وَلَمْ أَلَقِ سِوَاكَ خَلِيلَا
مُدْمَى كَفَاكِ مِنِّي الْفُؤَادُ عَوِيلَا
فِي صُحُفِ خَدَيَّ نَزَلْتُ تَنْزِيلَا
مُسْتَشْهَدَيْنِ مُعَاهِدَا وَطَلُولَا
يَوْمًا تَكُونُ مِنَ الْقُلُوبِ بَدِيلَا
سَفَرِ الْمُحِبِّ وَكَانَ ذَاكَ طَوِيلَا
فِيهَا نَسِيمُ الْحُبِّ فَاحَ قَبُولَا
غُصْنِ ذَوَى لِهَذَا الْغُصْنِ بَلِيلَا
لَعَدْتُ مَدَامِعُهُمْ تُحَاكِي النَّيْلَا
حَ عَلَى حِمَاهَا ذَاهِلًا مَتَبُولَا
فَعَلَامَ تَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ جَلِيلَا
وَلَتَمُتْهَا إِلَّا شَفِيتُ غَلِيلَا
لَتَ مَا عَهْدْتُ أَخَا الْغَرَامِ بَخِيلَا
يَوْمًا بِغُرْفَتِهِ وَكَانَ أَصِيلَا
لِلْغَيْرِ قَدْ مَالَتْ فَصَاحَ ذُحُولَا
صِدْقًا بِهِ يَغْدُو الْمُحِبُّ جَمِيلَا
إِلَّا لِدَاءِ الْعَاذِلِينَ مُزِيلَا

قَالُوا رَأَيْنَاهُ وَإِيَّاهَا عَلَى
حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَسَامِعَ أَهْلِهِ
وَتَبَدَّلْتَ تِلْكَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَهُمْ
وَرَأَى الْمُحِبُّ أَهْلِيلَهُ فِي عَذْلِهِ
هَذَا وَجَادِبُ قَلْبِهِ يَقْتَادُهُ
وَدَرَّتْ حَبِيبَتُهُ فَهَاجَ كُلُّومُهَا
لَكِنَّهَا كَتَبَتْ كِتَابًا لِلْحَبِيبِ
فَرَأَى بِذِيكَ الْكِتَابِ حَبِيبُهَا
وَعَدَا إِلَيْهَا فِي الْغَدَاةِ وَقَلْبُهُ
وَإِذَا بِهَا تَبْكِي فَقَالَ حَبِيبَتِي
قَالَتْ وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي بَعْدَ النَّوَى
فَأَجَابَهَا وَالْقَلْبُ مِنْ لَحْظَاتِهَا
قَالَتْ وَأَنْتَى لِي وَآيُ مَدَامِعِي
وَقَضَى الْغَرَامَ عَلَيْهِمَا فَتَعَاهَدَا
وَتَبَادَلَا خُصَلَاتِ شَعْرِ عَلَّهَا
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُضْ أُسْبُوعٌ عَلَى
حَتَّى أَتَتْهُ مِنَ الْحَبِيبِ رِسَالَةٌ
فَتَلَا بِهَا مَا لَوْ تَلَى يَوْمًا عَلَى
أَوْ لَوْ تَلَى مَا بَيْنَ أَرْبَابِ الْهَوَى
وَأَضَاعَ خُصْلَةَ شَعْرِهَا يَوْمًا فَرَا
قَالَتْ تَضِيعُ إِذَنْ فُؤَادِي مِنْهَا
فَأَجَابَ كَلَّا مَا ذَكَرْتُكَ مَرَّةً
فَرَمْتُ إِلَيْهِ بِخُصْلَةٍ أُخْرَى وَقَا
وَتَفَارَقَا حِينًا وَإِذْ هُوَ جَالِسٌ
وَإِذَا بِوَاسٍ قَالَ تَزْهِيْدَا لَهُ
بِئْسَ الْمَحَبَّةُ لَا يَكُونُ حَلِيفُهَا
وَبَدَا بِقَطْعِ رِسَائِلٍ كَانَتْ دَوَاءً

أَمَّا حَبِيبَتُهُ فَلَمَّا آنَسَتْ
وَصَبَتْ إِلَى صَبِّ سِوَاهُ وَهَكَذَا
وَدَرَى الْمُحِبُّ بِأَمْرِهَا هَذَا وَمَا
وَعَدَا إِلَيْهَا يَرْتَجِي عَفْوًا عَنِ
فِي مَجْلِسٍ كَانَتْ رَسَائِلُهُ الْهُوَى
لِكِنَّهُ لَمْ يَجْنِ مِنْ غُصْنِ الْهُوَى
وَتَنَّى مَعَاطِفَهُ وَلَكِنْ مَثَلَمَا
يَشْكُو الْحَبِيبَ وَلَيْسَ يَشْكُو غَدْرَهُ
فَأَتَى إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ
قَالُوا ائْنِ عَنْهَا الْقَلْبَ إِنَّكَ وَاجِدٌ
فَأَجَابَهُمْ وَالْحُبُّ يَنْظُمُ نَثْرَ مَنْ
مَنْ كَانَ لَا يَهِينُهُ إِلَّا مَرِيْمٌ

ذَا الصَّدِّ رَامَ فُؤَادَهَا التَّحْوِيلَا
حُبُّ النَّوَاعِيسِ لَا يَدُومُ طَوِيلَا
كَادَ الْوُشَاةُ لَهُ فَعَافَ مَقِيلَا
الْمَاضِي بِالْفَافِظِ تَطْيِيبُ شُمُولَا
الْعُذْرِيُّ وَكَانَ اللَّحْظُ فِيهِ رُسُولَا
ثَمَرًا سِوَى الْإِعْرَاضِ حَتَّى عِيلَا
يَنِي الدُّبُولُ الْغُصْنُ ذَابَ نُحُولَا
حَذِرًا عَلَيْهِ بِأَنْ يَعُدَّهُ خَذُولَا
لَمَّا رَأَوْهُ بِحُبِّهَا مَشْغُولَا
أَلَا لِنَفْسِكَ أَنْ فَقَدْتَ مَثِيلَا
مَعِهِ بَيْتًا قَالَهُ تَرْتِيلَا
أَنَّى يَطْيِبُ لَهُ لِقَاءُ أَدِيلَا

وقال يصف ظلمة البدر:

رَاحَ طَيْفُ الْحَبِيبِ يَسْعَى إِلَيَّ
فَرَاهُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ فَرْدًا
فَانْتَنَى نَحْوَهُ وَعَادَرَ أَهْلَ
لَوْ دَرَى الْبَدْرُ بِالَّذِي حَلَّ فِيهِ
مَا كَفَى الْغَيْدُ أَنَّهُنَّ بُدُورُ

شَبَّهَ مَحْيَاهُ سَابِحًا فِي الْفَضَاءِ
مَثَلُهُ بَيْنَ عَالَمِ الْأَحْيَاءِ
الْوَدَّ صَرَعَى جَوَى عَلَى الْغُبَرَاءِ
لَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ
الْأَرْضِ حَتَّى حَلَّلَنَ بَدْرَ السَّمَاءِ

واقترح عليه بعضهم نظم بنبال اللحظ فقال على البديهة:

رَسَمْتُ فُؤَادِي خَشِيَةً أَنْ يُذِيبُهُ
وَلَا تَعْجَبُوا مِنْ طَعْنَةٍ يَحْرِقُ الْحَشَا
وَمَا رَسَمْتُ هَذَا الْفُؤَادَ أَنَا مُلِي

جَمَالُ مَحْيَاكُمْ فَأَعْدُو بِلَا قَلْبِ
بِلَا طَاعِنِ جَانِ فِذِي طَعْنَةُ الْحُبِّ
وَلَكِنْ نُبَالَ اللَّحْظِ قَدْ رَسَمْتُ لُبِّي

وقال في مثل ذلك:

طَعَنْتُمْ فُؤَادِي قَبْلَ طَعْنِي فُؤَادَكُمْ وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا جَلَّ مُرَادُكُمْ
فَإِنْ كَانَ هَذَا لَا طَعْنَ يَفِي بِعَادِكُمْ فَيَا حَبَّذَا طَعْنٌ بَدَأَ مِنْ لِحَاطِكُمْ
فَأَدْمَى فُؤَادًا كَادَ يَقْضِي أَسَى بِكُمْ

وفي قصيدة عنوانها: «صريع الكأس»

هَيْفَاءُ مَا أَنْ عَادَهَا طَيْفُ الْهُوَى حَتَّى غَدَتْ طَيْفًا أَرْقَ مِنَ الْهُوَى
عَبَّثَتْ بِهَا أَيْدِي النُّحُولِ فَشَابَهَتْ بَحُولَهَا قَلْبِي وَبِالْطُّفِ الدُّمَى
لَمْ يَجْنِ ذَاكَ سِوَى زِيَارَةِ جِيرَةٍ زَارَتْ بِهَا الْأَشْجَانُ مِنْ لَحْظِي فَتَى
شَجْنٌ تَضَمَّنَهُ الْغَرَامُ فَلَمْ يَعُدْ عَنْ كَشْفِهِ بُدٌّ وَفِي الْكُتْمِ الضَّنَى
وَكَأَنَّ ذِيكَ الْفَتَى لَمَّا رَأَى مِنْهَا الشُّجُونَ عَرَاهُ مِنْهَا مَا عَرَا
فَأَتَى مُطِيعًا لِلْغَرَامِ وَإِنَّهُ قَاضٍ لَهُ الْأَقْدَارُ تَعْنُو وَالْقَضَا
وَأَبَاحَهَا الْوَجْدُ الْحَدِيثُ وَمَا دَرَى أَنَّ الْفَتَاةَ تُحِبُّهُ فِيمَا مَضَى
فَدَنْتُ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ جَمَالَهَا وَرَدًّا وَقَالَتْ مَا عَسَانِي أَنْ أَرَى
أَمْلِيكَ قَلْبِي إِنَّهُ ... فَقَالَ مُقَاطِعًا لَا بَلْ أَسِيرُ جَمَالِكَ الْبَاهِي السَّنَا
فَالْحُبُّ لَا يَحُلُو لَأَزْبَابِ الْهُوَى حَتَّى يُرَافِقُهُ التَّذَلُّلُ وَالْعَنَا
وَمَضَى وَإِذَا شَاءَ الْغَرَامُ تَعَاهَدَا حِفْظًا لِأَسْرَارِ الصَّبَابَةِ وَالْوَلَا
وَعَدَتْ تَضَمُّمَهَا الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا وَاشْ يَلُومُهَا عَلَى نَشْرِ الْهُوَى
وَأَتَتْ حَبِيبَتَهُ الْغَدَاةَ فَرَاقَهَا مَا أَنْسَتْ فِي وَجْهِ ذِيكَ الْفَتَى
نَظَرْتُ بِحَدِيثِهِ إِحْمِرَارًا وَهِيَ مِنْ نَارِ الْهُوَى صَفْرَاءُ لَا تَدْرِي الْكَرَى
فَتَبَسَّمَتْ فَرَحًا وَخَالَتْ نَفْسُهَا طَيْفًا لَدَيْهِ فَهَاجَ طَرْفُهَا الْبُكََا
قَالَتْ تَسَائِلُهُ بِدَمْعٍ لَمْ تَكُنْ تَخْفَى خَفَايَاهُ عَلَى أَهْلِ النُّهَى
فَرَنَا إِلَيْهَا قَائِلًا كُفِّي الْبُكََا بِاللَّهِ وَأُبْدِي لِي حَقِيقَةَ مَا اخْتَفَى
قَالَتْ حَبِيبِي مُنْذُ رَأَيْتُكَ بَادِيًا تَزْهُو بِدِكَ أَزْهَارِ الصَّبَا
وَرَأَيْتَنِي وَأَنَا حَبِيبَتُكَ الَّتِي شَجَوَى أَكَادُ أَدُوبُ حَرِّ الْجَوَى
أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْابْتِهَاجِ لِعُصْنِكَ الرَّاهِي وَبَيْنَ الْانْزِعَاجِ مِنَ الضَّنَى

فَدَنَا فَتَاهَا قَائِلًا لَا تَجْزَعِي
دَاءُ كَبَحْتُ جِمَاحَهُ بَتَرَشُفِي
هَذَا وَرَاحَ حَبِيبُهَا ثُمَّ أَتْنَى
وَدَنَا إِلَيْهَا بِاسِمًا فَتَبَسَّمتْ
ثُمَّ انْتَنَتْ نَحْوَ الْمُدَامِ كَذِي ضَنَى
وَتَرَشَفَتْ مِنْهَا الْقَلِيلُ فَرَاقَهَا
وَرَأَتْ بِأَنَّ الرَّاحَ تَعْقُبُ رَاحَةً
وَصَبَتْ إِلَى لَثَمِ الْكُتُوسِ وَقَدْ كَسَا
هَذَا وَقَلْبُ حَبِيبِهَا مِنْ فَرَحَةٍ
حَتَّى إِذَا أَرَفَ الرَّجِيلُ وَأَظْلَمَتْ
رَاحَتْ تُودِّعُهُ فَأَوْدَعَ قَلْبَهَا
وَنَتَتْ مَعَاطِفَهَا إِلَى حَيْثُ الْحَمَى
وَسَرَى النَّسِيمُ مُصَافِحًا صَفَحَاتِ خَدِّ
فَعَرَا سَنَاهَا الْأَصْفَرَارَ وَصَدَّعَهَا
وَعَدَتْ عَلَى مَهْدِ السُّقَامِ عَلِيلَةً
وَإِذْ انْقَضَى دَاءُ الْمُدَامَةِ وَأَنْتَضَى
جَاءَ الْحَبِيبُ مُودِّعًا لَا يُرْتَجَى
مَدَّتْ يَدَ الصَّبَابَةِ وَالنَّوَى
حَتَّى إِذَا طَالَ الْفِرَاقُ وَشَاقَهَا
وَأَفَى كِتَابُ حَبِيبِهَا فَجَرَتْ لِتَأْخُذَهُ
وَتَلَّتْ وَلَكِنْ مَا يُرْوَعُ فُؤَادَهَا
عَلِمَتْ بِأَنَّ حَبِيبَهَا أَضْحَى عَلَى
فَدَنْتْ إِلَيْهِ بِمُقْلَةٍ مِنْ غَمِهَا
هَذَا وَلَمْ تَدْرِ بِأَنَّ حَبِيبَهَا
كَأْسُ حَدَثُهُ إِلَى كُتُوسٍ حَيْثُ لَمْ
فَرَأَتْ مَلِيكَ فُؤَادِهَا يَحْكِي الْهَوَا
فَدَنْتْ مِنَ الْأَسَى وَقَدْ غَلَبَ الْأَسَى

مَا دَامَ هَذَا الدَّاءُ يَنْفِيهِ الدَّوَا
رِيْقُ الْمُدَامَةِ دَائِمًا قَبْلَ الْغَدَا
تَغَشَى أَنْامِلَ كَفِّهِ كَأْسُ الطَّلَا
عَنْ دُرٍّ مَبْسِمِهَا الْمُورِدِ بِالْحَيَا
أَشْفَى فَصَارَ يَهِيمٌ فِي طَلَبِ الشِّفَا
مَا شَاقَهَا مِنْ عَذْبٍ ذِيَاكَ اللَّمَى
لِلْقَلْبِ فَارْتَاَحَتْ عَلَى دَفْعِ الْأَدَى
رِيْقُ الْمُدَامَةِ خَذُّهَا لَوْنُ الدِّمَا
أَضْحَى يُرْفِرُ رَاقِصًا بَيْنَ الْحَشَا
شَمْسُ اللَّقَا صَرَعَى بِأَسْيَافِ النَّوَى
مَا أَوْدَعَتْ قَلْبِيهِ مِنْ نَارِ الْهَوَى
تَرْنُو وَلَكِنْ مِثْلَمَا تَرْنُو الْمَهَى
يُهَا وَقَدْ نَدَبْتُ بِأَنْفَاسِ النَّدَى
دَاءُ الدَّوَارِ وَقَلْبَهَا الدَّامِي الضَّنَى
مَا بَيْنَ دَاءِ الْوَجْدِ أَوْ دَاءِ الطَّلَا
سَيْفُ الْبُعَادِ بِكَفِّهِ دَاعِي الشِّقَا
بُعْدُ النَّوَى عَنْهَا سَوَى قُرْبِ اللَّقَا
قَالَتْ وَقَالَ بَكَتْ وَمَا يُجْبِي الْبُكََا
حُلُوُ التَّلَاقِ وَرَاعَ أَحْشَاءَهَا الْأَسَى
وَلَكِنْ لَيْسَ تَدْرِي مَا جَرَى
لَا مَا يُسَاعِدُهُ عَلَى دَفْعِ الْبَلَا
مَهْدِ الضَّنَا تَنْتَابُهُ أَيْدِي الْفَنَا
صَرَعَى وَقَلْبُ خَافِقٍ خَفِقَ اللَّوَا
يَقْضِي صَرِيعَ الْكَأْسِ فِي ذَاكَ الْمَسَا
يَرْدَعُ هَوَاهُ وَكَمْ فَتَى أَرْدَى الْهَوَى
رَسْمًا وَلَا يُبْدِي جِرَاكًا كَالْهَوَا
تَرْجُو شِفَاهُ حَيْثُ لَا يُرْجَى الشِّفَا

وَإِذَا بِهَا سَمِعَتْ نِدَاءَ حَبِيبِهَا
وَحَنَّتْ عَلَيْهِ كَطَائِرٍ يَحْنُو عَلَى
فَبِكى فَقَالَتْ وَهِيَ تَمْسُحُ طَرْفَهُ
فَأَجَابَهَا نَدْمًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَاتِنَهُ وَهِيَ تَظُنُّهُ رَجَعَ الصَّدَى
غُصْنٍ ذَوَى كَيْمَا تُشَاطِرُهُ الرَّدَى
بِبَنَانِهَا مَا الدَّاءُ يَا رُوحَ الْمُنَى
وَيَلَاهُ هَذَا الدَّاءُ مِنْ ذَاكَ الدَّوَا

وقال في زفاف صديق يدعى «يعقوب» على فتاة تدعى «مريم»:

أَفْوَادِي عَلَى لِسَانِي أَمْلَى
بَلْ رُوَيْدًا فَإِنَّمَا مَرِيَمُ الْعَذْرَاءُ
حَيْثُ قَالَتْ يَعْقُوبُ إِنَّكَ مِنْ عَيْنِي
فَهَنِيئًا لَكُمْ وَمَنْ لَمْ يَهْنُئْكُمْ
مَا يَكُنُ الْفُؤَادُ نَحْوَكَ أَمْ لَا
خَطَّتْ بِأَحْرَفٍ لَكَ قَوْلًا
مَكَانَ السَّوَادِ مِنْهَا وَأَحْلَى
لَعَمْرِي فَلَيْسَ وَاللَّهِ خَلَا

وقال في قصيدة عنوانها «ليلة في المسرح»:

إِلَى قَاعَةِ التَّمَثِيلِ جَاذَبَنِي قَلْبِي
فَسِرْتُ كَأَنِّي رَاكِبٌ فِي سَفِينَةٍ
فَأَنَسَ طَرْفِي مَذْ دَخَلْتُ أَوَانِسًا
نَظَرُنَ إِلَى الْفَتَيَانِ فَتَيَانِ عَصْرِنَا
فَنَابُوا عَنِ الْجُوقِ الْمُمَثِّلِ أَنَّمَا
عَلَى أَنَّهَا قَدْ سَطُرَتْ فِي صَحِيفَةٍ
وَأَوْحَى بِهَا لِلْقَلْبِ لَحْظُ أَخِي النَّهْيِ
مَدَامِمْ يُجْرِيهَا الْأَسَى وَخِضَابُهَا
وَقَدْ صَوَّبُوا الْمُنْظَارَ كَالْعَسْكَرِ الَّذِي
وَأَرْسَلَ كُلُّ سَهْمٍ لَحْظِيهِ رَائِدًا
أَوَانِسُ إِلَّا أَنَّهُنَّ نَوَافِرُ
نَوَاسِ حَتَّى يُصْبِحَ الطَّرْفُ لِلْكَرَى
فَكَانُوا وَمَا مِنْ سَامِعٍ لِلْمُمَثِّلِ
إِذَا مَا شَدَا شَادٍ فَرَاقَ نَشِيدُهُ

دُجَى وَقِنَاعُ اللَّيْلِ أَسْتَرَ لِلصَّبِّ
مِنْ الشَّوْقِ يُجْرِيهَا بُخَارُ لَظَى الْقَلْبِ
تَحَجَّبِينَ إِلَّا عَنْ عُيُونِ ذَوِي اللَّبِّ
وَقَدْ أَكْرَتَهُمْ فِي الْهَوَى خَمَرُ الْحُبِّ
رَوَايَاتُهُمْ مَا سَطُرَتْ قَطُّ فِي كُتُبِ
مِنْ الْجَهْلِ يَغْشَاهَا مِدَادٌ مِنَ الْعَتَبِ
وَلَمْ يَمَحُهَا إِلَّا بِمَدَمْعِهِ الصَّبِّ
هُوَ الْوَرْدُ لَكِنْ مَنْ لَهُ بِنْدَى السُّحْبِ
يُحَاوِلُ تَصْوِيبَ الْبِنَادِقِ فِي الْحَرْبِ
رِيَاضُ خُدُودِ الْإِنْسَاتِ مِنَ الْحُجُبِ
إِذَا مَا التَّقَى يَوْمًا اللَّقَا الْهُدْبُ بِالْهُدْبِ
قَرَى وَيُنَاغِي الطَّيْرَ فِي الْغُصْنِ الرُّطْبِ
وَلَا نَاطِرُ مَا كَانَ فِي مَرْسَحِ اللَّعْبِ
سَمِعَتْ صَدَى مَصِّ الشَّفَاهِ مِنَ الْعَجَبِ

بِتَصْفِيْقِهِمْ ذَاكَ التَّفَنُّنِ وَالضَّرْبِ
وَكَاثَتْ وَإِيَّاهُ تُمَثِّلُ مَا يُصْبِي
لِرَاحِ تَحَاكِي رِيْقٍ مَبْسَمِهَا الْعَذْبِ
وَيُقْبِحُ ضَحْكُ الْمَرْءِ فِي مَشْهَدِ النَّدْبِ
مِذَاذُ بِأَطْرَافِ الْيَرَاعِ فَمَا ذَنْبِي
كَتَبْتُ بِهَا ذَا الْبَيْتِ مُسْتَغْفِرًا رَبِّي

وَإِنْ رَأَوْهُمْ مِنَ التَّفَنُّنِ قَاطَعُوا
وَإِنْ هُوَ أَوْمًا بِالْبَنَانِ لِعَاذَةِ
رَنُوا وَأَنْثَنُوا لَا لِأَرْتِيَاكِ وَإِنَّمَا
وَأَعْجَبَ مِنْهُ ضَحْكُهُمْ سَاعَةَ الْبُكََا
وَلَوْ رَمَتْ تَعْدَادَ الْبَوَاقِي لَمَا بَقِيَ
عَلَى أَنْبِي اسْتَوْقَفْتُ آخِرَ قَطْرَةٍ

ورأى عادة تقرأ في كتاب فقال مرتجلاً:

تَحْتَ اللَّحَاطِ فَأَقْرَأَ
مِنَ الْجَمَالِ فَأَقْرَى

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ سَطْرًا
أَوْ كُنْتُ ضَيْفًا لَدَيْهَا

وقال في حادثة «شهيدة الحب»:

عَبَثْتُ بِمُهْجَتِهَا الشُّجُونِ
غُضْنَا تَتِيَهُ بِمُهْجَتِهَا الشُّجُونِ
حَتَّى عَلَا مِنْهَا الْأَذِينِ
قَطُّ أَيْدِي الْغَارِسِينَ
لِلْعَيْنِ زَهْرَاءُ الْجَبِينِ
رَقَّتْ لِتَكْسِيرِ الْجُفُونِ
لَمْ تَجْنِهِ نَبْلُ الْعُيُونِ
فِي قَلْبِهَا السَّهْمُ الْمَكِينِ
أَهْيَفُ يَرْمِي الْفُتُونِ
أُمَاهُ هَلَا تَعْلَمِينَ
إِنِّي سَأُقْضَى بَعْدَ حِينِ
تُبْكِي بُكَاءَ الْخَائِفِينَ
كَالطَّيْرِ ضَمَّتْهُ الْغُصُونِ
لِلَّهِ مَا هَذِي الظُّنُونِ

لِلَّهِ مَوْقِفُ غَاذَةِ
لَعِبِ الْهَوَى بِفُؤَادِهَا
فَتَقَصَّصَتْ أَوْرَاقُهَا
مَا تِلْكَ أَوْرَاقُ جَنَّتِهَا
حَتَّى تَعُودَ فَتَجَلَّى
تِلْكَ الْجَوَارِحُ إِنَّمَا
فَجَنَى عَلَيْهَا الْوَجْدُ مَا
مِنْ نَظْرَةٍ قَدْ غَادَرَتْ
سَهْمٌ بَدَا عَنْ قَوْسٍ حَاجِبٍ
فَعَدَّتْ تَقُولُ بِلَوْعَةٍ
قَدْ جَاءَنِي وَحْيُ الْخَفَا
فَحَنَنْتُ عَلَيْهَا أُمُّهَا
بِيَدٍ تَضُمُّ فُؤَادَهَا
وَعَدَّتْ تَقُولُ بِلَهْفَةٍ

مَا أَنْتِ إِلَّا وَرْدَةٌ
 تَحْيِينَ مَا بَكَتِ السَّحَابُ
 فَبَكَتْ بُنْيَتُهَا بِدَمْعٍ
 وَثَنَتْ غُصَيْنَ قَوَامِهَا
 وَتَقُولُ مِنْ وَلِهَ إِلَهِي
 وَأَغْفِرْ لَهُمْ ذِلَّاتِهِمْ
 حَتَّى إِذَا بِسَمِ الصَّبَاحِ
 نَظَرْتُ فَخَالَجَ طَرْفُهَا
 فَدَنَنْتُ بِجَاذِبِ شَوْقِهَا
 وَرَأْتُ حَبِيبَ فُؤَادِهَا
 قَالَتْ وَقَدْ نَشَرَ الْحَيَاءُ
 أَهْلًا بِمَنْ مَلَكَ الْفُؤَادَ
 فَأَجَابَهَا ذَاكَ الْفَتَى
 يَا مَنْ حَوَتْ وَرْدَ الرِّيَاضِ
 مَنْ لِي بِأَنْيِّ وَأَنْتِ وَالْهَوَى
 فَتَعَاهَدَا حَتَّى إِذَا
 نَظَرَ الْفَتَى فِي وَجْهِهَا
 وَارْتَابَ فِي حُبِّ الْفَتَاةِ
 وَرَنَا إِلَيْهَا قَائِلًا
 قَالَتْ وَقَدْ بَسَطَ الْمَمَاتُ
 أَشْكُو شَرَابًا صَبَّهُ
 وَأَنْتِ بِهِ الْأَقْدَارُ تَسْعَى
 فَبَكَى الْفَتَى جَزَعًا وَصَاحَ
 أَبِيقْظَةٍ يَا أُذُنُ أُمِّ
 فَأَجَابَهُ مِنْ عَالَمِ النَّجْوَى
 هَيْهَاتَ قَدْ حَكَمَ الْقَضَاءُ
 يَجْنِي غُصَيْنَ قَدْ حَلَا

حُجِبْتُ فَأَنْيُّ تَقْطِفِينَ
 أَوْ جَرَتْ مَاءُ الْعُيُونِ
 هَاجَهُ الدَّاءُ الدَّفِينِ
 تَشْكُو وَلَكِنْ لَا مُعِينِ
 ارْحَمْ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ
 فَلَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
 وَفَتَحَتْ مِنْهُ الْجُفُونِ
 شَبَحَ رَأَتْهُ مِنْذُ حِينِ
 حَتَّى إِذَا التَّقَتْ الْعُيُونِ
 يَذْنُو وَتُحْجِبُهُ الْغُصُونِ
 لَوَاءَهُ فَوْقَ الْجَبِينِ
 هَوَاهُ دُونَ الْعَالَمِينَ
 فَرَحًا بِلُقْيَاهَا حَزِينِ
 بِخَدَّهَا الْبَاهِي الْمَصُونِ
 نُمْسِي عَلَى عَهْدِ مَتِينِ
 وَافَى حِمَاهَا بَعْدَ حِينِ
 دَمْعًا فَهَاجَتْهُ الشُّجُونِ
 لَهُ وَرَاعَتْهُ الظُّلُونِ
 بِاللَّهِ مَاذَا تَشْتَكِينَ
 جِنَاحَهُ فَوْقَ الْجَبِينِ
 الرَّحْمَنُ فِي كَأْسِ الْمُنُونِ
 نَحْوَ ذَا الْقَلْبِ الْحَزِينِ
 بِلَهْفَةٍ أَنَّى يَكُونِ
 فِي الْحُلْمِ مَا قَدْ تَسْمَعِينَ
 لِسَانُ الْعَاشِقِينَ
 وَذَاكَ أَقْوَى الْحَاكِمِينَ
 مِنْهُ الْجَنَى دُونَ الْغُصُونِ

فَأَصْبِرْ عَلَى بَلَوَاكِ إِنَّ
فَجَأْنَا الْفَتَى جَزَعًا وَصَاحَ
لَا لَا فَذَاكَ يُرَوِّعُ قَلْبَكَ
مَا زَالَتْ حَبِيبَتُهُ وَقَالَتْ
فَادْنُو حَبِيبِي لِلْوَدَاعِ
وَيُرَوِّعُ قَلْبَيْنَا بِنَائِي
فَبَكَى وَقَالَ حَبِيبَتِي
وَأَرَادَ تَخْفِيفَ الْجَوَى
وَإِذَا بِهَا سَقَطَتْ تَجَلَّلُ
فَدَنَا يُنَازِعُهَا الْفَنَاءُ
وَيَقُولُ يَا عَذْرَاءَ رَفَقَا
حَتَّى إِذَا هَذَا الظَّلَامُ
سَمِعَ الْفَتَى مِنْ نَحْوِهَا
وَهْتَافٌ وَحِي قَائِلُ

اللَّهُ يَجْزِي الصَّابِرِينَ
حَبِيبَتِي هَلْ تَسْمَعِينَ
ذِكْرُهُ لَوْ تَعْلَمِينَ
تِلْكَ يَا قَلْبِي ظُنُونُ
قُبَيْلَ أَنْ يَدْنُو الْمَنُونُ
لَا لِقَاءَ لَهُ يَكُونُ
بِاللَّهِ مَاذَا تَكْتُمِينَ
مِنْهَا وَإِذَاءَ الْحَزِينِ
وَرَدَّ خَدَيْهَا الْغُصُونُ
نَدَمًا وَلَكِنْ لَاتِ حِينَ
بِي وَبِالْقَلْبِ الْحَزِينِ
وَعَمَّ فِي الْأَرْضِ السُّكُونُ
صَوْتًا يُخَامِرُهُ الْأَنِينُ
وَاحْمَتَا لِلْعَاشِقِينَ

وقال في فتاة تدعى «مريم»:

مَنْ لِي مَرِيْمٌ حَتَّى
كَيْمَا تُقْبَلُ خَدِّي
أَكُونُ عَيْسَى لَدَيْهَا
يَوْمًا وَأَخْنُو عَلَيْهَا

وقال فيها:

أَمَرِيْمُ لَوْ تَدْرِي بِأَنَّ أَخَا الْهَوَى
لَكُنْتَ مَنَحْتَ الْقَلْبَ مِنْهُ تَعْطُفًا
عَلَى الْبُعْدِ أَضْحَى كَالْخَيَالِ نَحِيلًا
وَنَحَتْ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

وقال عن لسان صديق اقترح عليه نظم بيتين:

أَتَيْتُ إِلَيْكَ الْآنَ لَا لِزِيَارَةٍ
وَأَلْقِي إِلَيْكُمْ ذِي الْبِشَارَةِ أَنِّي
وَلَكِنْ لِأُرْوِي الْقَلْبَ بِالْمَبْسَمِ الْعَذْبِ
نَقَلْتُ إِلَى مِصْرَ بِهَا مَرْتَعُ الْقَلْبِ

وقال يرثي ملكة الإنجليز:

مَنْ الْجِيلِ تَغْشَاهَا سَطُورُ الْمَنِيَّةِ
بَنَانُ الْقَضَا يَسْرِي بِرَقْمِ الرَّزِيَّةِ
هَوَى فَوَهَتْ مِنْ هَوْلِهِ كُلُّ هِمَّةٍ
مِنَ الدَّاءِ خَوْفًا مِنْ وَقُوعِ الْأَذِيَّةِ
جَنَاحَ الرَّدَى يُنْبِي بِعِظَمِ الْمُصِيبَةِ
يُعَلِّلُ نَفْسًا بِالْتِي وَبِالْتِي
إِدْ عَدِيمِ الرُّشْدِ وَهَنْ الْعَزِيمَةِ
سَوَى رَمَقِ بَاقٍ وَقَلْبٍ مُفْتَتٍ
لَمَّا آنَسُوهُ مِنْ صَفَاءِ الْمَوَدَّةِ
أَلَمْتُ وَلَا لِلْخُصْمِ يَوْمَ الْكَرْيَةِ
فَأُحْيَتْ زُهُورًا فَوْقَ تَرْبِكَ حَنْتِ

عَزِيزُ عَلَيْنَا أَنْ أَقُولَ صَفْحَةً
وَأَنَّ جَنَانَ الْغَيْبِ يُمْلِي وَدُونَهُ
هُوَ الْمَوْتُ حَتَّى لَوْ دَنْتُ سَاعَةَ النَّوَى
أَفَيْكُتُورِيَا إِنْ كَانَ قَوْمُكَ رَعَوْا
فَكَيْفَ بِهِمْ وَالْمَوْتُ فَوْقَكَ بِاسِطٌ
أَفَيْكُتُورِيَا كَمْ مِنْ مُحِبٍّ وَقَدْ عَدَا
وَكَمْ مِنْ صَفِيٍّ بَاتَ بَعْدَكَ دَامِيَ الْفَوْ
أَفَيْكُتُورِيَا مَا إِنْ نَأَيْتُ وَفِي الْوَرَى
مَلَكْتُ وَتَغَرَّ الْقَوْمُ بِالْبِشْرِ بِاسْمٍ
عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَبْسُمُوا لِمَلْمَةٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا حَيْثُ الصَّبَا

وقال يصف الكهرباء والحب:

فِي زَمَانٍ سَادَتْ بِهِ الْكَهْرُبَاءُ
اِخْتَكَّتْ وَتَلْقَى الْأَسَادُ وَهِيَ ظُبَاءُ
جَذَبْتُنَا فَكَانَ مَا لَا نَشَاءُ
إِنْ رَأَاهَا فَرَاعَهُ الْإِغْمَاءُ
قَبَسًا فِي الْفُؤَادِ مِنْهُ صِلَاءُ
جَاذِبٌ لَا تَحِلُّهُ الْكِيمِيَاءُ
حَيْثُ قَادَتْ فُؤَادَهُ الْأَهْوَاءُ
زَارَهُ الْوَجْدُ وَالْوَلَا وَالْإِخَاءُ
عَنْهُ بَلْ كَانَ مِنْ مَنَاهَا الْبَقَاءُ
يَرِفُ وَالْجِسْمُ مِنْهُ هَوَاءُ
جَيْنَ يَبْدُو مِنَ الْحَبِيبِ الْجَفَاءُ
كَبَدِي عَذْبٌ تُغْرِهِ وَالْطَّلَاءُ

كَيْفَ لَا يَصْبَغُ الْخُدُودَ الْحَيَاءُ
أَلَّةُ تُوَهِّنُ الْقُوَى كُلَّمَا
كُلَّمَا هَاجَ قَلْبُهَا حَرَكَاتُ
كَفْتَاةٍ رَأَتْ فَتَاهَا فَتَاهَتْ
ضَمَّهَا وَالْفُؤَادُ يُضْرَمُ مِنْهَا
وَإِخْتِلَافُ الْأَجْسَامِ يَنْشَأُ عَنْهُ
فَأَطَاعَ الْهَوَى فَرَاحَ صَرِيْعًا
زَارَتْ الْكَهْرُبَاءُ قَلْبَ مُحِبٍّ
لَمْ تَرَ مُوصِلًا إِلَيْهِ فَتَسْرِي
لَيْسَ لِلْقَلْبِ مُوصِلٌ فَهُوَ كَالطَّيْرِ
لَيْتَ ذِي الْكَهْرُبَاءُ تَطَرَّقُ قَلْبِي
عَلَّهَا تَجَذَّبُ الْحَبِيبُ فَيَرْوِي

وَعَجِيبٌ أَنْ تَلَاشَى قُوَاهَا وَهِيَ وَاللَّهِ آلَةٌ صَمَاءُ
وَلِحَاطُ الْحَبِيبِ لَمَّا رَأَنِي كَانَ فِيهَا مِنَ الْهُوَى كَهْرُبَاءُ

واقترح عليه مغنٌ بيتين ينشدهما في غادة:

أَطَلَّتْ مِنَ الشُّبَّاکِ مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ مَهَاهُ حَكَتْ فِي حُسْنِهَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ
وَمُذْ سَمِعَتْ صَوْتِي تَتَنَّتْ كَأَنَّهَا غُصِينُ أَمَالَتُهُ النَّسَائِمُ فِي الْفَجْرِ

واقترح عليه بعضهم تكملة معنى هذا البيت:

هِيَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهَا دَاتُ بُرْقِعِ تَتَوَقُّ لَمَرَّآهَا النُّفُوسُ وَتَعَشَقُ

فأردف قائلاً:

وَمَا اللَّيْلُ يُرْجِي الظَّلَامُ سُدُولَهُ وَلَا الصُّبْحُ مَا تَحْكِي سَنَاهُ الْبَوَارِقِ
وَلَكِنْ لَيْلُ الْعَاشِقِينَ احْتَجَابَهَا وَصَبَحُهُمْ فِي وَجْهَهَا حِينَ يَشْرُقِ

وقال في الحنين إلى الوطن:

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ مَا أَحْلَى اللَّقَا فَمَتَى نَحْطِي بِغِزْلَانِ النَّقَا
حَكَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا بِالْفُرَاقِ آهِ وَآهِ شَوْقِي إِلَى حُلُوِّ التَّلَاقِ
آهِ وَآهِ شَوْقِي إِلَى ذَاكَ الْحِمَى حَيْثُ أَحْضَى الْقَلْبُ صَبًّا مُغْرَمًا
يَا إِلَهَ الْعَرْشِ كُنْ لِي رَاحِمًا وَاشْفِ قَلْبِي مِنْ تَبَارِيحِ الضَّنَى
تِلْكَ أَوْطَانُ لَهَا قَلْبِي صَبًّا إِذْ قَضَى فِيهَا أَوْيَاقَتُ الصَّبَا
فَاحْمِلِي بِاللَّهِ يَا رِيحَ الصَّبَا عَنِّي الشَّوْقُ إِلَى ذَاكَ الْحِمَى
كُنْتُ قَبْلَ بَعْدٍ لَا أَدْرِي الْعَذَابِ لَا وَلَا أَعْرِفُ مَعْنَى الْاِحْتِجَابِ
غَيْرَ أَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَ الْبُعْدِ ذَابَ فَارْحَمُوا قَلْبِي وَدَاوُوا الْبَدْنَا

قَرَّبَ اللَّهُ أَوْيَقَاتِ الْهَنَاءِ وَأَرَاخَ الْقُلُوبَ مِنْ بَعْدِ الْعَنَاءِ
وَإِذَا لَمْ تُدْنِنَا دَارَ الْفَنَاءِ فَلَقَدْ تَجَمَّعْنَا دَارَ الْبَقَاءِ

وبعث إليه صديق يطلب حاجة فأجابه بهذين البيتين:

قَدْ طَلَبْتَ الْقَلِيلَ مِنِّي وَمَا كَانَ فُؤَادِي مِنَ الْوَدَادِ مُقْلًا
لَكَ مَا شِئْتَ يَا خَلِيلِي فَإِنِّي فِي حَيَاتِي لِسَائِلِي لَمْ أَقُلْ لَا

وقال يصف عيد الجلوس الخديوي:

لَا غَرَوْ أَنْ لَاحَتْ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ فِي مِصْرَ مُحَدَّقَةً بِمَرْهَفٍ قَدِّهِ
وَالْعِيدُ أَقْبَلَ بِاسْمًا بِجُلُوسِهِ كَالسَّيْفِ يَبْدُو ضَاجِكًا مِنْ غَمِّهِ
عِيدٌ بِهِ رَقَصَتْ أُولَى الْهَوَى ثَمَلَى كَأَنَّ شَرَابَهَا مِنْ وَدِّهِ
وَأَفَى فَلَمْ يَبْقُ فُؤَادٌ سَاكِنٌ حَتَّى حَسِبْتُ قُلُوبَنَا مِنْ وَفْدِهِ
لَا بَدَعَ أَنْ تَزْهُوَ رِيَاضُ الْأَزْبَكِيَّةِ وَهُوَ رَائِدُهَا بِرَوْضَةِ خَدِّهِ
أَوْ تَتَجَلَّى بِيضُ الْأَزَاهِرِ وَهِيَ تَخْكِي الزُّهُورَ لَكِنْ فِي أَعَالِي مَجْدِهِ
وَقُلُوبٌ أَلْ وَلَئِنَّهُ قَدْ أَشْرَقَتْ بِلَظَى الْوَدَادِ عَلَى صَفَائِحِ جُنْدِهِ
عَبَّاسُ لَوْ عَجَزَ الْوَرَى عَنْ مَدْحِهِ نَطَقَتْ شَمَائِلُهُ بِرَائِقِ حَمْدِهِ
فَلَيْهِنَا بِالْعِيدِ الَّذِي هَتَفَتْ بِهِ أَبْنَاءُ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَنَجْدِهِ
فَلِيَحْيَ عَبَّاسُ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي نَهَوَى لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا مِنْ مَهْدِهِ

وقال يرثي المرحوم الشيخ نجيب الحداد:

أَدْمَعُ جَزَى مَدْمَعِ الصَّبِّ أَمْ مُزْنُ عَلَى فَقْدٍ مَنْ فِي فَقْدِهِ دَاهِمُ الْحُزْنُ
دَوَى غُصْنُهُ رَطْبًا وَقَلْبِي حَائِمُ عَلَيْهِ فَذَاقَ الْقَلْبُ مَا ذَاقَهُ الْغُصْنُ
خَلِيلِي مَا لِلطَّرْفِ يَغْنُو لِدَمْعِهِ حَزِينًا وَمَا أَنْ كَانَ قَبْلَ النَّوَى يَغْنُو
تَرَاءَى لِنَظْمِي مَا كُنَّ خَاطِرِي فَأُضْحَى مَلِكُ الشَّعْرِ وَالْخَادِمُ الْوَزْنُ
كَأَنَّ صَدَى مِنْ صَيْدِ قَلْبِي يَفْقِدُهُ وَلَوْ صَدَّ عَنِّي فَهُوَ نَظْمُهُ عَوْنُ
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَمَا الدَّمْعُ فِي الْأَسَى بِمَجْدٍ فَقُلْتُ الصَّبْرُ أَنْ تُصْبِرَ الْعَيْنُ

نَعَمْ فَكَلَّانَا يَا نَجِيبٌ عَلَى الْوَفَا
أَلَيْسَ عَجِيبٌ بَعْدَ حَبِيبِكَ أَنْبِي
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا سَالَ مَدْمَعِي
مُقِيمٌ إِذَا دَاعَى الصِّفَا صَابَهُ الْوَهْنُ
أَرَاكَ ضَجِيعَ التُّرْبِ لَيْلًا وَلَا ظَنُّ
وَمَا هَاجَ مِنْ ذِكْرَاكَ فِي كَبْدِي حُزْنُ

وقال في قصيدة عنوانها «العلم والمال»:

لَبَسُوا الْبُرْدَ وَانْتَنُوا رَافِلَيْنَا
وَتَحَلَّوْا وَلَيَّتَهُمْ مَا تَحَلَّوْا
حَلِيَّةُ النَّفْسِ شِيْمَةٌ لَمْ يَشْمَهَا
لَيْسَ بِاللَّبِيسِ وَالْحَلَى خَلَدُ التَّارِيخِ
إِنَّمَا بِالْعُلُومِ نَالُوا فَخَارًا
أَيْنَ كِسْرَى مِنْ ابْنٍ خَلَدُونَ هَذَا
مَاتَ كِسْرَى بِمَوْتِهِ وَابْنٌ خَلَدُونَ
كَمْ غَنِيٌّ قُضِيَ وَلَمْ يَقْضِ سُؤْلًا
إِنَّمَا الْجُودُ أَنْ تَجُودَ بِمَا عِنْدَكَ
يَفْرَغُ الْمَالُ إِنْ يَدٌ أَنْفَقَتْهُ
فَاجِنَ مَا لَا يَفْنَى وَإِنْ فَنِيَ الْمَرْءُ
فَقَلِيلٌ مِمَّا يَدُومُ لَخَيْرٍ
فَإِنْ كَانَ طَرْفِي قَدْ غَذَانِي بِحُسْنِهِ

بَاخْتِيَالٍ يَسْتَجْذِبُونَ الْعُيُونَا
أَنَّهُمْ عَنْ حُلَى الْعُلَا غَافِلُونَا
غَيْرُ لُطْفٍ يَغْنُو لَهُ السَّاحِرُونَا
ذَكَرَ الْفَطَاحِلِ الْغَابِرِينَا
لَمْ يَنْلَهُ الْمُلُوكُ وَالْمُكْتَرُونَا
عَاشَ قُرُونًا وَذَاكَ عَاشَ قُرُونَا
لَعَمْرِي بِالذُّكْرِ يَحْيَى دَفِينَا
وَذِكِّيْ هَدَى فَكَانَ مُعِينَا
لَا أَنْ يَعُودَكَ السَّائِلُونَا
وَتَزِيدُ الْعُلُومَ حِينًا فَحِينَا
وَدَعْ مَا تُفْنِي يَدُ الْمُنْفِقِينَا
مِنْ كَثِيرٍ يُفْنِيهِ مَرُّ السِّنِينَا
وَلَمْ أَغْتَدِ مِنْ لَحْمِهِ النَّضْرُ الْغَضِينَا

وقال في حكاية «الغراب والثعلب»:

رَأَى الْغُرَابُ جِبْنَةً فِي دَارٍ
فَسَلَ مِنْهَا قِطْعَةً وَطَارَا
وَحِينَمَا حَطَّ عَلَى إِحْدَى الشَّجَرِ
فَلَمَحَ الْجِبْنَةُ فَاحْتَالَ عَلَى
قَالَ لَهُ يَا مُحْسِنَ الْغِنَاءِ
لِي سَنَةٌ أَطْلُبُ أَنْ أَرَاكَ

لِبَعْضِ قَوْمٍ مِنْ دَوَى الْيَسَارِ
كَأَنَّهُ قَدْ مَلَكَ الْإِمَارَةَ
رَأَهُ ثَعْلَبٌ فَأَحْدَقَ النَّظَرَ
اخْتِطَافَهَا مِنْهُ بِهَاتِيكَ الْفَلَا
وَمُخْجَلِ الطُّيُورِ وَالظُّبَاءِ
لَأَسْمَعَ الرَّائِقَ مِنْ غُنَاكَ

فَتَرَوِي الْقَلْبَ بِطِيبِ الْمَوْرِدِ
وَصَارَ يَشْدُو بِالْغِنَاءِ الْمُطْرِبِ
غَنِيمَةً بَارِدَةً لِحَارِهِ
بِفَمِهِ وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَهَا
بِمِثْلِ مَا عَامَلْتَ قَدْ عَامَلْتُكَ
وَمَا فَعَلْتَ الْآنَ تَلْقَاهُ غَدًا
إِلَّا مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَتَى

فَهَلْ تَجُودُ بِالْغِنَا يَا سَيِّدِي
فَامْتَثِلِ الْغُرَابُ قَوْلَ الثُّغْلَبِ
فَأَوْقَعَ الْجُبْنَةَ مِنْ مَنْقَارِهِ
فَفَرَحَ الثُّغْلَبُ وَانْتَشَلَهَا
نَادَاهُ يَا غُرَابُ مَا ظَلَمْتُكَ
سَلَبْتَ إِنْسَانًا عَلَيْكَ اعْتَدَى
وَالْمَالُ لَا يَخْرُجُ مِنْ كَفِّ الْفَتَى

وقال في مقتل ملك السرب:

لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ أَطَاعَ غَزَالَهُ
وَهُوَ فِي أَسْرِهَا فَأَيْنَ الْعَدَالَهُ
فَهَلَّا تَلَوْتُمْ أَقْوَالَهُ
فَلَا إِنْكُمْ يَفْتَرِي أَوْ ضَلَّاهُ
بِيَدَيْهِ بَنَانٌ تِلْكَ الْغَزَالَهُ
أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الْهُدَى قَدْ أَمَّالَهُ
كُلُّ مَنْ خَلَّاهُ أَمَّالَهُ
فَعَرَّشَ الْهُوَى غَدًا أَحْلَى لَهُ
وَالْيَمَانِي فَقَطَّعَا أَوْصَالَهُ
وَهِيَ بِاللَّحْظِ كَمْ رَوَتْ مِنْ مَقَالَهُ
صَرَعَى الْهُوَى أَمَامَ الْجَلَّالَهُ
لِلْفَقِيدَيْنِ عَفْوُهُ وَنَوَالَهُ

طَرَقَ الْحُبُّ قَلْبَهُ فَاسْتَمَّالَهُ
مَلَكٌ تَمَرَّحُ الظُّبَا فِي حِمَاهُ
يَا بَنِي السَّرْبِ تِلْكَمُ سُنَّةُ اللَّهِ
وَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
لَوْ نَظَرْتُمْ بَعِينِهِ أَوْ لَمَسْتُمْ
لَعَرَفْتُمْ قَدْرَ الْهُوَى وَعَلِمْتُمْ
قَدْ جَنَيْتُمْ عَلَيْهِمَا قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ
كَانَ أَوْلَى عَزْلُ الْمَلِكِ عَنِ الْعَرْشِ
مِنْ مَمَاتٍ تُشَارِكُ اللَّحْظُ فِيهِ
وَهُوَ لَمْ يَرَوْ مِنْ دِرَاغَا غَلِيلًا
يَا لَهُ مَوْقِفًا بِهِ انْتَفَضَتْ أَعْظَمُ
صَائِحَاتٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ تَرْجُو

وقال يصف زيارة الحبيب:

وَمَا غَيْرُ قَلْبِي لَهُ سَائِقُ
كَأَنِّي بِهِ فِي الْوَلَا صَادِقُ
وَلَحْظِي دَلِيلُ لَهُ سَابِقُ

رَكِبْتُ الْقِطَارَ إِلَى مَنْ أَحَبُّ
فَسَارَ وَلَكِنْ بِنِيرَانِهِ
يُرَاعِي النَّظِيرُ فَيَجْرِي سِرَاعًا

يُنِيرُ لَهُ ظُلُمَاتِ الْبُعَادِ
فَيَسْتَرْقُ الْأَرْضَ فِي سَيْرِهِ
فَلَمَّا بَلَغَتْ دِيَارَ الْحَبِيبِ
فَقُلْتُ مُحِبُّ دَعَاهُ الْهُوَى
فَرَأَشَقْتُهُ بِسَهَامِ اللَّحَاطِ
فَحَدَّكَ وَرَدُّ وَتَغْرُكَ وَرَدُّ
أَسِيرُ الشَّهَادِ طَلِيقُ الرُّقَادِ
وَهَا هِيَ مُهْجَتِي عُزْبُونُ الْوَفَا
فَعُدْتُ وَلَكِنْ رَغَمَ الْفُؤَادِ
بِبَاخِرَةٍ فِي بَحَارِ دُمُوعِي
أَرَدُّدُ ذِكْرِي لِيَالٍ تَسَامَرَ

وقال في محاوراة عاشقين:

لَعَمْرُ الْهُوَى لَوْلَا الْعَيْونُ الذَّوَابِلُ
لَمَا صَرَعَتْ أُخْتُ الْمَهَا مُهْجَتِي وَلَا
رَأَتْنِي لَدَيْهَا نَاحِلَ الْجِسْمِ فَاذْتَنَّتْ
فَقُلْتُ وَهَلْ يَحْيَا غُصْنٌ بِلَا نَدَى
فَقُلْتُ وَلَكِنْ قَدْ دَوَى مِنْ لَطَى الْهُوَى
فَقُلْتُ لَعَلَّ الشَّمْسُ عَنْهُ تَحَجَّبَتْ
فَقُلْتُ أَتَبْدُو الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ طَالِعُ
فَقَالَتْ عَجِيبُ مَا ذَكَرْتَ وَإِنِّي
وَمِلْتُ بِهَا نَحْوَ الرِّيَاضِ فَاَنْسَتْ
فَقَالَتْ أَرَى غُصْنًا يَمِيلُ وَلَا هَوَا
فَقُلْتُ وَلَا بَدْعُ فَإِنْ شَمُولَهُ
وَإِنْ أَحْمَرَارَ الْوَرْدِ بَيْنَ غُصُونِهِ
فَلَوْلَا الْحَيَا مَا رَاقَ وَرَدُّ لِنَاطِرِ
وَلَوْلَا الْهُوَى مَا مَاسَ غُصْنٌ بِلَا هَوَا

وَهَذِبْ لِحَاطٍ فِي فُؤَادِي ذَوَابِلُ
سِلَاحِ سَوَى الْعَيْنَيْنِ حِينَ تُقَاتِلُ
إِلَيَّ وَقَالَتْ مَا لِحِسْمِكَ نَاحِلُ
فَقَالَتْ فَفِي كَفِّكَ مَا أَنْتَ سَائِلُ
فَقَالَتْ وَهَلْ يَذْوَى وَدَمْعُكَ وَابِلُ
فَقَالَتْ فَفِي خَدِّي شَمْسُ تُمَائِلُ
لَعَمْرُكَ قَدْ قَلْتُ لَدَيَّ الْوَسَائِلُ
وَإِيَّاكَ دَوْمًا نُورُنَا مُتَكَامِلُ
أَزَاهِرَ وَرْدٍ غُصْنُهَا يَتَمَائِلُ
أَبِينَ هَوَانَا وَالْهَوَاءِ تَبَادُلُ
سَرْتُ فَحَكَّتْهَا مِنْكَ تِلْكَ الشَّمَائِلُ
كَخَدِّكَ لَمَّا دَاهَمْتَنَا الْعَوَائِلُ
وَلَا حُبِّتْ لِلْوَرْدَيْنِ الْخَمَائِلُ
وَلَا أَحْدَقْتُ بِالْقَلْبِ تِلْكَ السَّلَاسِلُ

وَنَارَ التِّيَّاعِ فَهُوَ زَاهٍ وَذَائِلُ
جَهْلْتُ وَلَكِنْ كَانَ لِي عَنْهُ شَاغِلُ
وَعَيْنِيكَ ذَا سِحْرٍ وَهَذِي قَنَابِلُ
يُمَثِّلُ لِي الْغِزْلَانَ وَهِيَ تُغَاوِلُ
إِذَا لَمْ أَسْأَلْهُ عَنْكَ فَالطَّرْفِ سَائِلُ

فَأَنْتَ مَنَحْتَ الْوَرْدَ نُورَ مَلَاَحَةٍ
وَعَلَّمْتَنِي وَصَفَ الْجَمَالِ وَلَمْ أَكُنْ
إِلَى أَنْ تَرَأَى لِي هَوَاكَ وَأَنْتَ
فَأَشْغَلْنِي إِلَّا عَنِ الْغِزْلِ الَّذِي
وَإِنْ غَبْتُ نَاجِيَ الْبَدْرَ عَنِّي فَإِنِّي

وقال في مطلع رواية:

أُوتُوا الْعَفَافَ فَمَاتُوا مِنْ طَبِي الْحَدَقِ
لَدَى الْمَهِينِ مَا عَانُوا مِنْ الْأَرْقِ

لِلَّهِ مَوْقِفُ عَشَّاقِ الْجَمَالِ إِذَا
إِذَا قُضُوا فِي الْهَوَى صَرَغَى فَشَافِعُهُمْ

وقال في سياق رواية:

طُيُورٌ تُنَاجِي الصَّبَّ وَهُوَ عَلِيلُ
بِقَلْبٍ إِلَى حُبِّ الصَّفَاءِ يَمِيلُ
عِلَاءٌ وَمَجْدًا وَالْفَخَارُ جَمِيلُ
فَعِيرُوا سَنَاهَا مِنْ لُظَايِ أَقُولُ
غَدَتُ تَحْتَهَا الرَّمْضَاءُ وَهِيَ تَمِيلُ
أَبَا فَضْلُهُ بَيْنَ الْأَنْامِ جَزِيلُ
وَإِنْ مَدَّ لِي بَاعُ السَّخَاءِ يَطُولُ
لَهِيْبًا مَدَى الْأَيَّامِ لَيْسَ يَزُولُ
دِمَاءٌ وَيَعْرِو الْجِفْنَ مِنْهَا ذُبُولُ

رَعَى اللَّهُ رَبْعًا لَاحَ فِي وَكُنَاتِهِ
قَضَيْتُ بِهِ دَهْرًا أَمِيلُ إِلَى الْعُلَا
وَسِرْتُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ طَالِبًا
أُرَاعِي اللَّيْلَ وَهِيَ بَوَاسِمُ
وَأَسْعَى عَلَى الرَّمْضَاءِ طَوْعَ مَطَالِبِ
نَلْتُ مَنَالًا قَدْ فَقَدْتُ بَنِيْلِهِ
لَقَدْ كَانَ لِي عَوْنًا إِذَا الصُّحْبُ أَذْبَرْتُ
قُضِيَ دُونَ تَوْدِيْعٍ فَأَوْدَعُ مُهْجَتِي
عَلَى مِثْلِهِ فَلْتَمَزِجِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا

وقال على لسان عاشقة:

وَأَنْ صَدْرِي مِنَ الْأَشْوَاقِ وَالْكَمَدِ
فَأَبْرَتْ مِنْ سُقَامٍ قَدْ بَرَى جَسَدِي
فَرَائِصِي حَذْرًا مِنِّي عَلَى كَبْدِي
وَأَخْلَعَ أَخَا الْغَيْدِ ثَوْبَ النَّأْيِ وَالْحَرْدِ

هَوَى بِقَلْبِي هَوَاكُمُ فَانْتَنَتْ كَبْدِي
وَأَبْرَقْتُ مِنْ صِدَامٍ كُلُّ جَارِحَةٍ
وَهُمَّهِمَ الرَّغْدُ أَثَرُ الْبَرَقِ فَارْتَعَدْتُ
دَعَ الْعَذَابَ لِمَنْ قَدْ ذَابَ مِنْ حَسَدِ

إِلَى الْهَوَى فَهَوَى عَمْدًا وَلَمْ يَعُدْ
فَهَامَ تَيْهَا وَمَا فِي النَّفْسِ مِنْ جَلَدٍ
لَا حَتَّ لِعَيْنَيْهِ حَتَّى صَاخَ وَابْكَبِي
فِي قَلْبٍ أَسَدٍ لَمَّا أَبْقَتْ عَلَى أَسَدٍ
تَرَاهُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِثْلُ مُبْتَعِدٍ
حَتَّى يُمِيتَ فَلَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ

وَارْحَمَ حَلِيفَ سَقَاهُمْ سَاقَهُ قَدَرٌ
رَامَ الْغَرَامَ وَلَمْ يَعْلَمْ عَوَاقِبَهُ
عَنِ الْمَلَاخَةِ قَدْ رَاحَ اللَّثَامُ فَمَا
تِلْكَ السَّهَامُ سِهَامُ اللَّحْظِ لَوْ نَشَبَتْ
فَكَيْفَ فَيَمْنُ عَدَا مِنْ نَارٍ لَوْعَتِهِ
وَهَكَذَا الْحُبُّ لَا تَحْيَى مَعَالِمُهُ

وقال على لسان عاشق يخاطب طيرًا:

طَيْرَ الْأَرَاكِ كَفَى مَا هَجَتَ مِنْ كَبْدِي
أُذْنِي صَدَاكَ فِقْفَقَ مَهْلًا وَلَا تَرِدِ
زِكْرُ الْحَبِيبِ بَلِيلُ زَائِدِ السُّهْدِ
وَيَهْجُمُ الدَّمْعُ فَوْقَ الْخَدِّ مِنْ حَسَدٍ
يَنَائِي الْهَوَى عَنْ فُؤَادِ الشَّيْقِ الْكَمَدِ

مَهْلًا فَقَلْبِي لَا يَقْوَى عَلَى الْكَمَدِ
يَجُنُّ قَلْبِي إِلَى نَجْوَاكَ مَا سَمِعْتُ
أَرَاكَ تَبْكِي عَلَى إِلْفٍ فَيُوجِسُنِي
تَبْكِي كَأَنَّا فِي الْهَوَى شَرَعُ
هُوَ الْغَرَامُ بِقَلْبِي لَا يَزَالُ وَهْلُ

وقال:

وَأَشْكُو الدَّهْرَ لَا يَرِقُّ لِيذِي شَكْوَى
فَإِنِّي لَهُ أَنْ يَتَّقِي مَضَضَ الْبُلْوَى
عَدْتُ كَبْدِي مِنْ نَارٍ لَوْعَتَهَا تُشْوَى
عَسَاهَا وَقَلْبِي يَجْنَحَانِ إِلَى النَّجْوَى
بِنَجْوَاهِمَا بَعْضُ ارْتِيَاكِ إِلَى السَّلْوَى
خَلِيلِي إِنِّي بَعْدَهُمْ أَرْتَجِي صَفْوَى

إِلَى كَمْ أَدَاوِي الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الْبُلْوَى
وَمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ يَطِيرُ مَعَ الْهَوَا
خَلِيلِي هَذِي مُهْجَتِي لَوْ عَلِمْتُمَا
فَرَفَقَا بِهَا بِاللَّهِ عَدَا بِهَا
فَأَسْمَعُ مَا لَا يَسْمَعُ الْغَيْرُ أَوْ أَرَى
وَيَذْهَبُ عَنِّي مَا كُنْتُ مِنَ الْجَوَى

وقال في وصف الجمال:

غَيْرُ صَبٍّ نَحْوَ الْمَحَاسِنِ مَائِلُ
مِنْ رَفِيعٍ وَمِنْ وَضِيعِ الشَّمَائِلِ
قَدَرٍ وَيَنْتَنِي بِالْجَاهِلِ

مَا رَقِيقُ الْفُؤَادِ رَبُّ الشَّمَائِلِ
مَا تَرَى الْحُسْنَ سَلْمًا يَرْتَقِيهِ
سَلْمٌ يُبْلَغُ الْأَدِيبَ إِلَى أَرْفَعِ

أودع الذوق في الحسان فظلت
وتبدت عنه المحاسن تحكي
صاح هلاً خلا فؤادك من رشق
خل عنك الوقار واجنح إلى
فلعمري ما ذاق قلب محب
يوم كنا من الشباب سكارى

وقال:

أهوى الظبا ويحول دون مرامي
ويشوقني ذكر الحبيب فلا أرى
قلب إذا هاج الغرام كلومة
فيلوح لي أن الحبيب مجالسي
يبدو الخيال كأنه بي شافع
غلب الصفا جفاهه فغدا وقد
آيات دمع ما تلوت سطورها
فأبيت لا أشكو لقاء جميلة

وقال:

ترآت وراء الستر مكشوفة الستر
وسارت فصارت العاشقون لحسنها
وما خطررت إلا لكسر خواطر
ودارت أحاديث عن التي
فما سمعت إلا صداها وما رأيت
ونادت وما من مستجيب لسؤلها
فجأت بدمع هاجه الشوق والأسى
فحنت لشكواها الحمام وساءلت

فشقت بلحظها الحجاب عن السر
أسارى وأضحى الحر يرحب بالأسر
ونشر خزامى حبها في الهوى العذري
بها قد صبت شوقا إليها ولم تدر
سواها فهامت في المهامة والقفر
سوى طلل حطت عليه يد الدهر
ولم تدر أن الحب يذهب بالعمر
بتغريدها تلك القلوب عن الأمر

فَقَالَتْ أَلَا تَدُرُّنَ أَنَّ مَسَاكِنَا
أُنَاسُ نَبَلِ اللَّحَاطُ فَرَاغَهُمْ
أَلَا فَاذْدُبِي يَا طَيْرُ قَوْمًا تَوَلَّهُوا

وقال:

بَعْدَ الْأَحْبَةِ تَشْكُو لَوْعَةَ الْوَهْجِ
يَذْرِي الدُّمُوعَ وَلَكِنْ غَيْرَ مُنْزَعَجٍ
لَوْلَا لَطَى عَنْ دِمَاءِ الْقَلْبِ وَالْمُهْجِ
قِلَادَةً رَصَعَتْهَا فِتْنَةُ الدَّعْجِ
أَرَاقَ طَرْفِي وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ حَرَجٍ
فَعَادَرْتُ بَعْدَهَا الْأَغْصَانُ فِي عَوَجٍ
يَحْيِي الْفُؤَادُ فَيَرْضَى مِنْكَ بِالْأَرْجِ
سَلِي غُصْنِ الرَّبِيِّ بِاللَّهِ إِنْ تَعَجِي
مِنْ الْهَوَى غَيْرَ رَاجٍ مِنْحَةَ الْفَرَجِ
فَمَا عَلَى الرُّوحِ بَعْدَ الصَّدِّ مِنْ حَرَجٍ

أَطَائِرُ الْبَيْنِ مَا لِلْقَلْبِ وَالْمُهْجِ
وَمَا لِطَرْفِي بَعْدَ الْبُعْدِ مُنْزَعَجٍ
يُلُوحُ فِي هَالَةٍ حَمْرَاءَ مَا سَطَعَتْ
وَيَنْثَنِي نَائِرًا دَمْعِي فَأَحْسَبُهُ
كَفَى بِرَقَّةِ قَلْبِي شَافِعًا وَبِمَا
يَا زَهْرَةً صَادَهَا مَرُّ النَّسِيمِ ضَحَى
مُنِّي عَلَيْنَا بِنَشْرِ شَذَاكَ عَسَى
وَسَائِلِي السَّحْبِ عَنْ دَمْعِي وَعَنْ كَيْدِي
يُجِيبُ عَنِّي بِأَنِّي وَالْهَوَا شَرُّعُ
وَإِنْ يَدُمُ أَبَدًا هَذَا الْفِرَاقُ لَنَا

وقال:

عَلَى زَمَانٍ تَقَضَّى بَيْنَ نُعْمَاكِ
بِالْقَلْبِ إِلَّا لِأَنَّ الْقَلْبَ يَهْوَاكِ
وَاشْتَدَّ مِنِّي الْهَوَى شَوْقًا لِرُؤْيَاكِ
حَتَّى جَذَبْتَ فُؤَادِي بَيْنَ أَحْشَاكِ
فَمَا أَهَاجُ لَهَا هَاجَ قَلْبًا سَفَاكِ
فَقَالَ إِنَّ شَفَائِي مِنْ لَمْيَاكِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَنِيهِ تُغْرُ فَنَاكِ
فِي الْحُبِّ نَفْسٌ وَكَمْ رَاقَتْ حَمْيَاكِ
يَكْفِيهِ مَا فَعَلْتَ بِالْقَلْبِ عَيْنَاكِ
أَوْ رُمْتَ قَتْلِي فَعَبْدٌ مِنْ رَعَايَاكِ

خُذِي فُؤَادِي فِدَاءَ الْعَاشِقِ الْبَاكِ
وَأَيَّقِنِي أَنَّنِي مَا جُدْتُ مُفْتَدِيًا
نَأَيْتُ تَبِيهَا فَتَاهُ الْعَقْلُ وَاسْفِي
لَمْ يَكْفِ أَنْ بُعَادًا عَنْكَ تَيَمَّنِي
رَفَقًا بِحَالِ فَتَى فَاضَتْ مَدَامَعُهُ
سَأَلْتُ عَنْ عِلَّتِي أَسَى الْغَرَامِ ضَحَى
نَعَمْ، فَمَا كَانَ أَحْلَى مَا أَشَارَ بِهِ
فَكَمْ بِلَحْظِيكَ ذَاتَ الْحُسْنِ قَدْ قُتِلَتْ
كَفَى بِرَبِّكَ كُفِّي عَنْ قَتِيلِ جَوَى
إِنْ شِئْتَ صَفْحًا قَلْبِي قَدْ صَفَا طَرَبًا

وقال:

سَلِي لِاعْجِ الْأَشْوَاقِ عَنْ هَائِجِ الْوَجْدِ
يُجِيبُ فُؤَادِي عَنْهُمَا أَنْ مَا هَمِّي
نَأَيْتُ وَقَلْبِي لَا يَزَالُ مِنَ الْهَوَى
كَأَنَّ فُؤَادِي فَوْقَ نَارٍ مِنَ الْهَوَى
كَفَاكَ سُلَيْمَى مَا تَرِيقِينَ مِنْ دَمِي
أَجْمَلُ فِي شَرْعِ الصَّبَابَةِ أَنَّهُ
وَعَنْ مَدْمَعِي إِلْهَامِي سَلِي طَلْعَةَ الْوَرْدِ
مِنْ الطَّرْفِ بَعْدَ الْبُعْدِ بَعْضَ الَّذِي عِنْدِي
كَلِيمًا فَلَمْ يَقْوَ عَنْ أَلَمِ الْبُعْدِ
يَزِيدُ لظَاهَا كُلَّمَا زِيدَ مِنْ وَجْدِي
دَوْمًا وَمِنْ دَمْعِي السَّخِينِ عَلَى خَدِّي
يُجَازِي أَسِيرَ الْوُدِّ بِالنَّأْيِ وَالصَّدِّ

ملحق بالكتاب

القسم الأول

في الشجاعة

قال أبو مسلم لأحد قواده: إذا عرض لك أمر نارحك فيه منازعان أحدهما يبعث على الإقدام والآخر على الإحجام فأقدم؛ فإنه إدراك للثأر وأنفى للعار.

الحث على استعمال الخدعة والحيلة والتحرز في الحرب

قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة». وقال أحدهم: «كن بحيلتك أوثق منك بشدتك، وبحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حرب للمتهور غنيمة للمنحدر». وقيل: «المكر أبلغ من النجدة». وقيل: «حازم في الحرب خير من ألف فارس؛ لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين والحازم قد يقتل جيشًا بحزمه وتدبيره».

حث من دُعي إلى المبارزة على الإجابة

قال أمير المؤمنين لأحد أبنائه: «لا تدعون أحدًا إلى البراز ولا يدعونك أحدًا إلا أجبتة، فالداعي باغٍ والباغي مصروع».

المنازل وقت المنازلة

قال المهمل:

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا فَنَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ يُطِيقُ النَّزُولَا

وقال:

جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحًا لَهُ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يُعْتَنَقُ

الحث على الثبات والنهي عن الإحجام والتفكر في العواقب

السلامة في الإقدام والحِمام في الإحجام، قال الكلبي:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْكِرِيهَةَ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الْهُوَيْنَا بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعََا

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد لما أخرجه لقتال أهل الردة: «أحرص على الموت تُوَهَّب لك الحياة».

وقيل: «من تفكَّر في العواقب لم يشجع».

الحث على التفكير قبل التقدم

قيل: «من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرور».

المتبجَّح بثباته

قيل لعباد بن الحصين: إن جالت الخيل فأين نطلبك، قال: حيث تركتموني، وقيل لبعض بني المهلب: بَمَ نلتَم ما نلتَم؟ قال: بصبر ساعة، وقال هذبة:

قَوْمٌ إِذَا نَزَلُوا الْوَعَى لَمْ يَسْأَلُوا حَذَرَ الْمَنِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْهَارِبِ

المبادرة إلى الحرب غير مبالٍ بها

وصف أعرابي قوماً فقال: ما سألو قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم. وسأل رجل يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزت أحداً إلا ظننت أن روحه في يدي. ولما بلغ قُتيبة حد الصين قيل له: قد أوغلت في بلاد الترك، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة، فقال الرجل: حيث شئت فهذا عزم الله لا يفله إلا الله.

وقيل لعبد الملك: مَنْ أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس بن مرداس حيث يقول:

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهُ

وقيس بن الحطيم حيث يقول:

وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

والمزيني حيث يقول:

دَعَوْتُ بَنِي قُحَافَةَ فَاسْتَجَابُوا فَقُلْتُ رُدُّوْا فَقَدْ طَابَ الْوُرُودُ

وأم الهيثم التميمية:

تَمْشِي إِلَى أَسْلِ الرَّمَاكِ وَقَدْ تَرَى سَبَبَ الْمَنِيَّةِ مَشْيَةَ الْمُخْتَالِ

وقال البحتري:

تُسْرِعُ حَتَّى قَالَ مِنْ شَهِدِ الْوَعَى لِقَاءَ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبِ

المتوصل إلى الشدة بالرّخاء

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال، بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجديد، وفي الصبر على النوائب إدراك الرغائب.
وقال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفونني في الإقدام، فقالوا: أي والله، إنك لترمي نفسك، فقال: إليكم عني، فوالله لم آت الموت من حبه، ولكنني آتية من بغضه ثم تمثّل:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً قَبْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

الخوف منه

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في كتيبة توارت خوفاً منه.
ونظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي.

تأثير الجيش

بعث أمير في طلب قوم رجلاً، فما لبث أن جاء برجل أطول ما يكون، فقال: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أن أخذه، ووقع في قلبه أنه مأخوذ، فنصرني عليه خوفه وجراءتي.
وقيل لأمير المؤمنين: بم غلبت الأقران؟ قال: بتمكن هيبتي في قلوبهم.

الموفي على جماعة والغالب لهم

قيل للإسكندر: إن في عسكر دار ألف مقاتل فقال: إن القصاب الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرة الغنم.

وقال أبو تمام:

قَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَزَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّيْرِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدْدُ

المشبه بالأسد

ووصف أعرابي آخر فقال: هو أشد صولة من أسد، وأبلغ منعة من الحصن الحصين.
ووصف آخر صاحبه فقال: هو أشد إقدامًا من أسد، وتوثبًا من فهد.

المتحمل للشدائد الصابر لها

وصف رجل آخر فقال: كان ركوبًا للأهوال غير ألوف للظلال.

فرسان العرب

قال أبو عبيدة: فرسان العرب المجمع عليهم دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدي كرب، وقد عُذَّ من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعنبسة بن الحارث وزيد الفوارس والحارث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد، ومن فتاك الجاهلية الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شراً وحنظلة بن فاتك الأسدي، ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي، وكل واحد منهم كان أشد عدواً من الظبي، وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه، ولا يحملون زاداً، وكان أحدهم يأخذ ببيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق ومنهم الشنفرى.

من لا يخضع في شدة

قليل لأعرابي اشتد به المرض: لو تبت، قال: لست أعطي على الذل، إن عافاني تبت وإلا أموت.

وسأل عمرو بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رأيت نفساً أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع.

وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي فسقطت حية فتطوّقت بابنه
هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي فما التفت ولا عجل،
فلما فرغ قال: ما بالكم؟

المؤثر الموت في العز على الحياة في الذل

لما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم
يلووا، فانتضى سيفه وقاتل مستقتل فقيل له: لا تهلك نفسك ولك الأمان، فتمثل بأبيات
قالها الحسين يوم قُتل وهي:

أَذُلُّ الْحَيَاةَ وَذُلُّ الْمَمَاتِ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ إِحْدَاهُمَا فَسِيرِي إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا

وقال المتنبي:

فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظَى وَذَرِ الذُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ

النهي عن مخافة القتل والحث على تصور الموت

قيل لعلي: أتناقل أهل الشام بالغداة وتظهر في العشي في ثوب ورداء؟ فقال: أبا الموت
أخاف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ.
قال أبو فراس:

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا وَمَنْ حَطَبَ الْعُلَيَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

قوم تسلط عليهم القتل فلم يفنهم

قال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأحصدنكم حصداً، فقالت: أنت تحصد والله يزرع، فانظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق، ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب وفيهم من الكثرة ما ترى.

من لم يُبَالِ بأن يقتل

قال عبد الله بن مسعود: عثرت بأبي جهل في الجرحى وقد قطعت يده ورجله، فقلت: يا عدو الله، فقال: سيفك كهام، فهاك سيفي فخذ رأسي من عرشي؛ فإنه أهون عند من يراه.

وأُسِّرَتْ أم علقمة الخارجية وأُتِيَ بها إلى الحجاج فقبل لها: وافقيه في المذهب، فقد يظهر الشرك بالمكر، فقالت: قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، فقال لها: قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء، فقالت: لقد خفت الله خوفاً صيرك في عيني أصغر من ذباب، وكانت منكسة فقال: ارفعي رأسك وانظري إليّ، فقالت: أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فقال: أهل الشام، ما تقولون في دم هذه؟ قالوا: حلال، فقالت: لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك، حيث استشارهم في أمر موسى، فقالوا: أرجئه وأخاه فقتلها.

وكان حكيم بن حنبل قد قُطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله، وقال:

يَا نَفْسُ لَا تُرَاعِي إِنَّ قُطِعَتْ كِرَاعِي
إِنَّ مَعِيَ ذِرَاعِي

وقال أعرابي لابنه وقد قُدِّمَ للقتل: يا بني أصف رجلك وأصرر أذنك ودع ذكر الله تعالى في هذا الموضع فإنه فشل.

الجواد بنفسه في الحرب المستعد للموت

قالت الخنساء:

تَهِينُ النُّفُوسُ وَهَوْنُ النُّفُوسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَوْفَى لَهَا

وقال آخر:

رَخِصٌ عِنْدَهُ الْمُهْجُ الْغَوَالِي كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَكِّهِ شَهْدُ

قال أبو تمام:

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

قال عبد الله بن أبي عيينة:

وَأَنِّي مِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ إِنْ تَسَكَّنَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ

تصبر النفس في الحرب

قال الفرزدق وقد لقيه أسد:

لَمَّا سَمِعْتُ لَهُ هَمَاهِمَ أَجْهَشْتُ نَفْسِي إِلَيَّ تَقُولُ أَيْنَ فَرَارِي
فَرَبَطْتُ نَفْرَتَهَا وَقُلْتُ لَهَا اصْبِرِي وَشَدَّتْ فِي صَنْكِ الْمَقَامِ إِزَارِي

وقال أبو تمام:

وَحَنَّ لِلْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ مُبْصِرُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَى وَطَنِ
لَوْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ أَسْيَافِ الْعِدَا كَرَمًا لَمَاتَ إِذَا لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ

المستأنف من موته حتف أنفه

قال عبد الملك الحارثي وأجاد:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ نُفُوسُنَا
وَيَسْتَحْسِنُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ
وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ
وَأَتَعَبَ مَيِّتٌ مَن يَمُوتُ بِدَاءِ

مخاوض الحرب مقتول لا محالة

قال تأبط شراً:

وَمَنْ يُغِرْ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ فِي جُنْدِ خَالِدٍ
سَيُلْقِي بِهِمْ مِنْ مَضْرَعِ الْمَوْتِ مَضْرَعًا

وقال آخر:

وَمَنْ يُكْثِرُ التَّطَوَّافَ فِي جُنْدِ خَالِدٍ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُحَدِّثَ عُرْسَهُ
لَدَى الرُّومِ مَصْبُوبًا عَلَيْهِ دُرُوعُهَا
إِذَا حَدَّثَتْ يَوْمًا حَدِيثًا يُرْوَعُهَا

قصد العدا مجاهرةً

أشار على الإسكندر أصحابه أن يبيغ الفرس فقال: ليس من الإنصاف أن أجعل غلبتي سرقة.

قال السري:

وَيَجْعَلُ بَشْرَهُ نَذْرَ الْأَعَادِي
وَلَمْ يُنْذِرْهُمْ مَقَّةً وَلَكِنْ
فَيَبْعَثُهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالًا
تَرْفَعُ أَنْ يَنَالَهُمُ اغْتِيَالًا

الضاحك في الحرب والعبس فيها

توصف الحرب تارة ببشاشة الوجه وطلاقة نحو قول النميري:

يَفْتَرُّ عِنْدَ لِقَاءِ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطَلِ

وتوصف تارة بالعبوس، قال أبو تمام:

قَدْ قُلِّصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيزَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمًا

المقاتل عن حريمه

ليم الإسكندر في مباشرته الحرب بنفسه فقال: ليس من الإنصاف أن يُقتل قومي عني وأترك المقاتلة عنهم وعن أهلي ونفسي.

قال عنتره:

وَمَرْقَصَةٌ رَدَدْتُ الْخَيْلَ عَنْهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِإِلْقَاءِ الزُّمَامِ

قصد الغارات

كان العرب إذا قصدوا غارة ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فإذا انتهوا إلى المعركة ركبوا الخيل.

المستكف من السلب

قال أعشى همدان:

وَأَرَى مَعَانِمَ لَوْ أَشَاءُ حَوِيْتُهَا فَيَصُدُّنِي عَنْهَا حَيًّا وَتَعَفُّفُ

وقتل أمير المؤمنين رجلاً، فأراد قنبر أن يأخذ سلبه فقال: يا غلام، لا تعر فرائسي.

وقال أبو تمام:

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودُ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

وصف الشبان والكهول في الحرب

قال رجل لرجل: لأغزونك بمرد على جرد، فقال: لألقينك بكهول على فحول.

تفضيل الشبان في الحرب

قال طاهر بن الحسين:

هَيْبٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَرْبٌ بِمُكْتَهِلٍ مَجْرَبٌ قَوْلُهُ يَكْفِي مِنَ الْعَمَلِ
وَأَغْشَى اللَّقَاءَ إِذْ كَانَ اللَّقَاءُ بِهِ سَفَكُ الدِّمَاءِ بِحَدِيثِ السِّنِّ مُقْتَبِلُ
فَإِذَا ذَا السِّنِّ يُلْقِي حَتْفَهُ أَبَدًا مُمَثَّلًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنَ الْوَجَلِ
وَذُو الشَّبَابِ لَهُ شَأْوٌ يُمَاطِلُهُ فَلَا يَزَالُ بَعِيدَ الْهَمِّ وَالْوَجَلِ

الخيول السريعة في الحرب

صُقُورٌ عَلَى أَثْبَاجٍ جُرْدٌ قَوَاسِ وَأُسْدٌ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ نُزُولِهَا

تعويد الفرس على حبسه في المعركة

قال النابغة:

وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَعُودُ حَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا

وقال أبو تمام:

إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْغَمَرَاتِ قُلْنَا خَرَجْتَ حَبَائِصًا إِنْ لَمْ تَعُودِي

كثرة الجيش

قال: كجنى الليل أردف بالغيوم.

وقال المتنبي:

بِجَيْشٍ لَهُامِ يُشْغِلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَنِ الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلًا

القسم الثاني

في التهديد

من هدهد السلطان فاستعان بالله

لقي الحجاج محمد بن الحنفية فقال له: نفسك فلأريقن دمك، فقال محمد: إن لله في كل يوم كذا كذا ألف نظرة يقضي في كل كذا كذا ألف، فعسى أن يشغلك بأمره.

تهديد سلطان شديد الوطأة

خطب الحجاج فقال: أيها الناس، من أعياه داؤه ومن استعجل أجله فعلي أن أعجله، إن الحزم والجد ألبساني سوء ظني وجعلا سيفي سوطي فنجاهه في عنقي وقائمه في يدي. وأحضر عبد الملك بن صالح للرشيد من حبسه، فلما مثل بين يديه أنشد الرشيد:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

والله لكأنني أنظر إلى شبوبها وقد همع، وإلى عارضها وقد لمع، وكأنني بالوعيد وقد أورى نارا فأقلع عن براجم بلا معاصم ورءوس بلا غلاصم! مهلاً بني هاشم، فبي سهل الوعر وصفا الكدر، وألقت إليكم الأمور أنفاً أَرَمَّتْهَا فحذارٍ من حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل، فقال عبد الملك: اتَّقِ الله فيما ولاك وراقبه فيما استرعاك، ولا تجعل الكفر

موضع الشكر والعقاب موضع الثواب، ولا تقطع رحمك بعد صلتها، وقد جمعت القلوب على محبتك وأذلت همم الرجال لطاعتك، وكنت كما قال الشاعر:

وَمَقَامٌ ضَبِّقُ فَارْجَتْهُ بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ وَجَدَلِ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ زَلَّ عَنْ مَثَلِ مُقَامِي وَزَحَلِ

حث من تعرّض لك أن يجربك

قال ابن أبي عيينة:

سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ دَعْوَتِي لَهُ رَيْقُ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا

من أوعد وقدم الإنذار

كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى أهل حمص: أمّا بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى استعمال ثلاث تقدم بعضهن على بعض، الأولى تقديم تنبيهه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا ينفع لحسم الداء غيرها.

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ أَغْقَبْ بَعْدَهَا وَعَيْدًا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

قال الشاعر:

ذُرُونِي ذُرُونِي مَا كَفَفْتُ فَإِنِّي مَتَى مَا تُهَيِّجُونِي تَمِيدُ بِكُمْ أَرْضِي
وَأُنْهَضُ فِي سَرِّ الْحَدِيدِ عَلَيْكُمْ كَتَائِبَ سُودًا طَالَمَا انتَظَرْتُ نَهْضِي

من يناوبه من لا يبالي به

أبرق رجل لآخر وأرعد فلما زاد أنشد:

قَدْ هَبَّتْ الرِّيحُ طُولَ الدَّهْرِ وَاخْتَلَفَتْ عَلَى الْجِبَالِ فَمَا نَالَتْ رَوَاسِيَهُ

تهدد من لا يبالي بتهديده

قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذت رأسك، فقال: أجل ذلك الشيء سيفي، وقال:

تَوَاعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتُ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

قلة غناء الوعيد

قال: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.
وقال الشاعر:

مَهْلًا وَعِيدِي مَهْلًا لَا أَبَالُكُمْ إِنَّ الْوَعِيدَ سِلَاحُ الْعَاجِزِ الْحُمَقِ

وقيل: من علامات العاقل ترك التهديد قيل إمكان الفرص، وعند إمكانها الوثوب مع الثقة بالظفر.

القسم الثالث

في فضل الأسلحة

قال النبي ﷺ: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».
وقيل: السيف حرز إذا جُرد وهيبة إذا أغمد.
وقيل: الشرف مع السيف.
وقال جعفر بن محمد: السيف مفتاح الجنة والنار.
ووصفه بعضهم فقال: رئيس لهوه قطف الرءوس، ضحوك عبوس، وهزله خطف النفوس.
قال المتنبي:

وَالْمُشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ

تفضيل السيف على القلم

قال المتنبي:

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَسْيَافِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْحَدَمِ

وقال أبو تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

وفي ضده:

قيل للكاتب: إلام تدل بهذه القصة؟ فقال: هو قصب، ولكنه يقطع العصب، إن القلم يقطع قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف ويؤمن مسالك الخوف.

من في سيفه ورمحه الموت

قال ابن الحاجب:

لَوْ قِيلَ لِلْمَوْتِ انْتَسَبَ لَمْ يَنْتَسِبْ يَوْمَ الْوَعَى إِلَّا إِلَى صِمَصَامِهِ

وقال شاعر آخر:

سُيُوفُهُمْ يَوْمَ الْوَعَى يَلْعَبْنَ بِالْأَزْوَاجِ

وقال ابن المعتز:

لَنَا صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنُ فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسَفْكِ دِمَاءُ

السيوف الماضية

قيل: كيف وجدت سيفه؟ فقال: هو على الأرواح كالأجل المتاح.

وقال إسحاق بن خلف:

أَلْقَى بِجَانِبِ أَخْضَرٍ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُتَّاحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْهَبَا عَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ

وقال البحتري:

يَغْشَى الْوَعَى وَالتَّرْسُ لَيْسَ بِجَنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالذَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقَلٍ
مُصْنِعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا أَمْضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ

السيوف المصقولة

قال أبو الحيري:

وَإِذَا مَا سَلَلَتْهُ بَهَرِ الشَّمْسِ شُعَاعًا فَلَمْ تَكُذْ تَسْتَبِينِ
وَكَأَنَّ الْفِرْنَذَ وَالرَّوْنَقَ الْبَا دِي عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينِ

قال ابن المعتز:

فِي كَفِّهِ عَضْبٌ إِذَا هَزَّهُ حَسِبْتَهُ مِنْ خَوْفِهِ يَرْتَعِدُ

السيوف المتقللة من الضرب

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قَرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقال دعبل:

إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِاللَّجِينِ سُيُوفَهُمْ رَدَدْتُ سُيُوفِي بِالْذِّمَاءِ حَوَالِيَا

وبضده هجاء عمارة بن عقيل:

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ حِيَادَهُ مُسَلِّمَةٌ لَيْسَتْ بِهِنَّ كُلُومٌ

السيوف المتضرجة بدم المحارب

قال ابن الرفاء:

يَكْسُوهُ مِنْ دَمِهِ تَوْبًا وَيَلْبِسُهُ ثِيَابَهُ فَهُوَ كَاسِيهِ وَسَالِيهِ

الكتابة بالطعن والضرب

قال أحد الكتّاب: جبينه طرسٌ بالصفاح منمّق وبالرّماح محبّر.
وقال آخر: خط ينمقه الحسام على جبينه.

تناول الرءوس بالرماح

قال البحتري:

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا ضَمَّ الرَّمَا حُ جَمَاجِمَ الْفُرْسَانِ

أخذه من مسلم:

يَكْسُو السُّيُوفَ رُءُوسَ النَّاسِكِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيْجَانَ الْقَنَا الذَّبِلِ

وقال جرير:

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا عَدَاةَ الْوَعَى تِيْجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ

طعن الأحداق والفؤاد

قال أبو تمام: سنان بحبّاتِ القلوبِ مُمتّع.

وأجاد المتنبي بقوله:

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونُ وَقَدْ طَبَعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رِقَادٍ
وَقَدْ صُغْتُ مِنَ الْأَسِنَّةِ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنِ إِلَّا فِي الْفُؤَادِ

وقال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فَأَصْبَحَ أَعْمَادُ السُّيُوفِ عِيُونَهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ حُلِي الرِّمَاحِ الذَّوَابِلِ

ضرب وطعن تبين منهما الرأس

قال الجزلي:

نَثَرْتُ عَلَى الْخَلِيجِ الْهَامَ حَتَّى كَأَنَّ حَصَى الْخَلِيجِ طَلِي وَهَامٍ

وقال الموسوي:

خَطَبْنَا بِالظُّبَا مُهَجَ الْأَعَادِي فَزُقْتُ وَالرُّءُوسُ لَهَا نَثَارُ

وقال الحارثي:

إِذَا مَا عَصَيْنَا بِأَسْيَافِنَا جَعَلْنَا الْجَمَاحِمَ أَعْمَادَهَا

الحاذق بالطعن والضرب

قال الموسوي:

وَأَسْمَرَ يَهْتَزُّ فِي رَاحَتِي كَمَا هَزَّتِ الْقَلَمَ الْإِصْبَعُ

سقي الرماح والصفاح دم الأعداء

قال دعل:

فَأَصْبَحْتُ تَسْتَحْيِي الْقَنَا أَنْ تَرُدَّهَا وَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ الْمَنَايَا صَوَادِيَا

وقال السري:

إِذَا الْحُسَامُ غَدَا سَكْرَانَ مُنْتَشِيًا مِنْ الدِّمَاءِ سَقَوْهُ أَنْفُسًا فَصَحَا

الجاعل قواضيه بدل المعاتبة

قال عمرو بن إبراهيم:

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنٍ الْكَلَى وَضَرْبٍ أَرْقَابِ

وقال آخر:

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مُشْرِفِي كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلْسَّلَامِ

وصل السيوف

يُروى أن فتى من الأزد دفع إلى المهلب بن أبي صفرة سيفاً له وقال: كيف ترى سيفي يا عم؟ فقال المهلب: سيفك جيد إلا أنه قصير، فقال: أصله بخطوة، فقال: يا ابن عمي المشي إلى الصين على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة، ولم يقل المهلب هذا جبناً، وإنما أراد توجيه الصورة.

قال الشاعر:

نَصَلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصَرْنَ بِخَطُونَا قَدَمًا وَتَلَحَّحَهَا إِذَا لَمْ تَلَحَقِ

وقال آخر:

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

وصف شجاع ذي رماح

سئل أعرابي عن قوم فقال: أسود الغاب تحمل غابها.
قال البحري:

إِذَا بَدَّوْا فِي حَرَاجَاتِ الْقَنَا تَرَى أَسْوَدَ الْأَرْضِ فِي غَابِهَا

من جعل معاقلة الأسلحة والخيول

قال أبو الغمر:

إِذَا لَازَ مِنْهُ بِالْحُصُونِ عَدُوُّهُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا السُّيُوفُ حُصُونُ

وقال آخر: إن الخيول معاقل الأشراف.
وقال غيره: وليس لنا إلا الأسنة معقل.

من لاذ بالقواضب واستعان بها

أَبَى قَوْمًا أَنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاضِبُ فِي إِيْمَانِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَا

قال الموسوي:

أَلِفَ الْحَسَامِ فَلَوْ دَعَاهُ لِغَارَةٍ عَجَلَانَ لِبَاهٍ بِغَيْرِ نَجَادٍ

وقال طاهر بن الحسين:

سَيْفِي رَفِيقِي وَمُسْعِدِي فَرَسِي وَالْكَأْسُ أَنْسِي وَقَنِينَتِي خَدِّي

من استطاب تناول الأسلحة

قال البحري:

مُلُوكُ الرِّمَاحِ خَوَاطِرًا إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالْدُّرُوعُ مَخَاصِرًا

قال سلم بن قحطان:

فَطِيبُ الصَّدْرِ الْمَسْوَدِ أَطِيبُ عِنْدَنَا مِنْ الْمِسْكِ ذَافَتُهُ أَكْفُ ذَوَائِفُ

النابي سيفه عن الضريبة

قال ورقاء بن زهير وقد ضرب فنبا سيفه:

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ
فَشِلْتُ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا وَيُحَصِّنُهُ مِنَ الْحَدِيدِ الْمَظَاهِرُ

وكان الفرزدق قد دُفع له سيف بحضرة سليمان بن عبد الملك ليقتل به روميًا،

فضربه فلم يعمل فيه، فقال جرير:

بِسَيْفِ أَبِي رَعْوَانَ سَيْفٌ مَجَاشِعُ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
فَهَلْ ضَرَبَهُ الرُّومِيُّ جَاعِلَةً لَكُمْ أَبَا كُكْلَيْبٍ أَوْ أَخَا مِثْلٍ دَارِمٍ

فأجابه:

فَسَيْفُ بَنِي عَبَسَ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدِي وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيْوْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظِبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

عذر من يُكثر لبس الدرع في الحرب

روى الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري، فأخبر بذلك سعيد بن عمرو وكان من فرسان الشام فقال: صدق؛ لأن لامة الإنسان حظيرة نفسه.
عوتب يزيد بن يزيد في إحكامه الدرع فقال: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتمة أَمَرَ بالحذر وذكر ما في صنعه اللبوس.

قلة غناء الدرع عند حضور الأجل

سُئِلَ ابن الحسين: في أي الجنن تحت أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مستأخر.
وقيل لأحدهم: أي الجنن أوقى؟ قال: العافية.
وقيل لآخر: لو استرحت؟ فقال: كفى بالأجل حارسًا.

وصف الدروع

قال المتنبي:

يَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ يَنْفُذُهَا كَانَ كُلُّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمٌ

ويستحسن لابن المعتز:

كَأَنَّهَا مَاءٌ عَلَيْهِ جَرَى حَتَّى إِذَا مَا غَابَ فِيهِ جَمْدٌ

المستغني بجلادته عن التدرع والتقنع

قال أبو تمام:

إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضًا لَبَسُوا مِنْ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرْدُ

وقال مُسَلِّمَة:

عَلَيَّ دِرْعٌ تَلِينُ الْمُرْهَفَاتُ لَهُ مِنْ الشَّجَاعَةِ لَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ
إِنَّ الَّذِي صَوَّرَ الْأَشْيَاءَ صَوَّرَنِي نَارًا مِنَ الْبَاسِ فِي بَحْرِ مِنَ الْجُودِ

المجيد من الرماة

قال إسماعيل بن علي:

إِذَا تَمَطَّى قَائِمًا ثُمَّ انْتَنَى وَمَدَّهَا أَحْسَنَ مَدٍّ وَانْتَنَى
أَرْسَلَ مِنْهَا نَافِذًا مُسَنَّئًا سِيَانٍ مِنْهُ مَا نَأَى وَمَا دَنَا
يَسُوقُ أَسْبَابَ النُّحُوسِ وَالْفَنَاءِ

الرديء الرمي

نظر فليسوف إلى رامٍ سهامه تذهب يمينًا وشمالًا، فقعد في موضع الهدف وقال: لم أرَ موضعًا أسلم من هذا.

ورمى المتوكل عصفورًا فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت.

فقال: تهزأ بي؟ فقال: أحسنت على العصفور.

وصف جماعة الأسلحة

سأل عمر بن الخطاب عمر بن معدي كرب فقال: ما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خارك، قال: فالنبل؟ قال: مَنّايا تخطى وتصيب.
قال: فالدرع؟ قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنها لحصن حصين.
قال: فالترس؟ قال: مجن، وعليه تدور الدوائر.
قال: فالسيف؟ قال: عنده ثكلتك أمك، قال عمر: بل أنت.

المحاربة بالحجر

أوصى أحد الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محاربة بعض أقرانه فقال: يا بني، كن بذا لأصحابك على ما فاتك، وإياك والسيف فإنه ظلة الموت، وألق الرمح، فإنه رسول المنية، ولا تقرب السهام؛ فإنها لا تؤامر مرسلها، قال: فبم أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:

جَلَامِيدُ إِمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رُءُوسَ رِجَالٍ حَلَفَتْ فِي الْمَوَاسِمِ

أصوات الأسلحة

قال الحارث بن حلزة:

وَحَسِبْتُ سَيُوفَنَا بِرُءُوسِهِمْ وَقَعَ السَّحَابَ عَلَى الطَّرَافِ الْمُشْرِجِ

وقال هلال:

تَصِيحُ الرِّدَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جَوْعًا

وقال آخر: تَنَقُّ عَوَالِيَهُمْ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ.

إيجاب المحاربة على المتسلح وتبكيته لتقصيره فيها:

قال ابن مرداس:

فَعَلَّامٌ إِنْ لَمْ أَشْفِ نَفْسًا حُرَّةً يَا صَاحِبِي أَجِيدُ حَمْلَ سِلَاحِي

قال المتنبي:

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ أَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدِّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيا

الاستغلال بالأسلحة

قال أعرابي من بني أسد:

وَفِتْيَانٌ ثَنِيَتْ لَهُمْ رِدَائِي عَلَى أَسْيَافِنَا وَعَلَى الْقِسِيِّ

وقال:

وَمَا اتَّخَذُوا إِلَّا الرِّمَاحَ سَرَادِقَا وَمَا اسْتَتَرُوا إِلَّا بِضَوْءِ الْهَازِمِ

ذل العذل في الحرب

قال الشاعر:

فَمَنْ يَكُ مِعْزَالَ الْيَدَيْنِ فَإِنَّهُ إِذَا كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ حَامِلُ

من صَاحِبَتُهُ الطيور والسباع

أول من وصف ذلك النابغة الذبياني فقال:

إِذَا مَا غَزُوا بِالْجَيْشِ حَاقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

وقال أبو تمام:

وَقَدْ ظَلَّتْ عَقْبَانُ أَعْلَامُهُ ضَحَى بَعَقْبَانَ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ

وقال بشار:

إِذَا مَا غَزَا بُشِّرَتْ طَيْرُهُ بِفَتْحٍ وَبُشْرِنَا بِالنَّعَمِ

المتزين بالجراحات

قال يعقوب بن يوسف:

وَحَيْلٌ تَعْجُزُ الْإِرْسَالِ عَنْهَا مَزَيْنَةٌ بِأَنْوَاعِ الْجِرَاحِ

قال سلم الخاسر:

وَلَا خَيْرَ فِي الْغَازِي إِذَا أَبَ سَالِمًا إِلَى الْحِمَى وَلَمْ يَتَحَدَّدِ

المتضرّج بالدم

قال البحتري:

سُلِبُوا وَأَشْرَفَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

وقال آخر:

تَضَرَّجَ مِنْهُمْ كُلُّ حَدٍّ مُعَفَّرُ وَعَفَرَ مِنْهُمْ كُلُّ حَدٍّ مُضَرَّجُ

القسم الرابع

في طلب الثأر والدية والرخصة في الاقتصاص

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^١. والجروح قصاص فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل. قال الجاحظ: كانت الدية والصدقة مما عند الرجل إن تمرّاً فتمرّ، وإن شاء فشاء، وكانوا يعيرون من ديته التمر، قال الشاعر:

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي وَهَبٍ رُسُولًا بِأَنَّ التَّمَرَ حُلُوٌّ فِي الشُّتَاءِ

فُعِيرٌ فِي هَذَا بِشَيْئَيْنِ: بِأَخْذِ الدِّيةِ وَبأن ديتهم التمر.

التعيير بترك الثأر والحث على أخذه

رُوي أن أعرابيين أصابهما قحط، فأنحدروا إلى العراق جائعين، فوطئت رجل أحدهما فرس لفارس فأدمتها، وكان يسمّى «حيدان» فتعلّقاً به وأخذاً الدية، وكانا جائعين، فقصدوا السوق وابتاعا طعاماً، فأكلا فقال الآخر:

^١ البقرة، آية ١٩٤.

فَلَا حَيْرَةَ مَا دَامَ فِي النَّاسِ سُوقُهُمْ وَمَا بَقِيَتْ فِي رَجُلٍ حِيدَانٍ إَصْبَعُ

تحريم الملاهي على المحارب وطالب الثأر

رُوي أن أحد عمال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار، فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجاج بن عبد الرحمن بن الأشعث فأجاب عن كتابه وجعل يقلب كفيه وقال لها: ما دونك مُنية المُنمي، فقالت: وما يمنحك؟ قال: بيت الأخطل:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا سَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النَّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَخْطَارٍ

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتع بها. وقال معاوية: ما ذقت أيام صفين لحمًا ولا حلواء، بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت. قال قيس بن الحطيم: حرام علينا الخمر إن لم نقاتل.

مَنْ حَلَّتْ لَهُ الطَّيِّبَاتُ لِإِذْرَاكِهِ الثَّأْرُ

قال الشاعر:

الْيَوْمَ حَلَّ لِي الشَّرَابُ وَمَا كَانَ الشَّرَابُ يَحِلُّ لِي قَبْلُ

من نزع ثوب العار وانطلق لسانه

قال أخو إساف بن عباد اليشكري:

أَلَمْ يَأْتَهَا أَنِّي صَحَوْتُ وَأُنِّي
فَأَصْبَحْتُ ظَلِيًّا مُطْلَقًا مِنْ أَدِيمِهِ
وَكُنْتُ مُعْطًى فِي قِنَاعِي خَفِيَّةً
شَفَانِي مِنْ دَائِي الْمُحَامِرِ شَافٍ
صَحِيحَ الْأَدِيمِ بَعْدَ دَاءِ إِسَافٍ
كَشَفْتُ قِنَاعِي وَاعْتَظْتُ عِطَافِي

وقال قاتل غالب:

وَقَدْ كُنْتُ مُحَرُّورَ اللِّسَانِ وَمُفَحِّمًا
فَأَصْبَحْتُ أُدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

من لا يفوته الثأر

قال البحثري:

تَذُمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شِمَةَ بَعْلِهَا
حَمِيَّةُ شَغَبٍ جَاهِلِيٍّ وَعِزَّةُ
إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّأْرِ وَهَوَ ضَجِيعُهَا
كُلَيْبِيَّةُ أَعْيَا الرِّجَالِ خُضُوعُهَا

من قتل بعض ذويه اقتصاصًا

قال قيس بن زهير:

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ
فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي
وَسَيْفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

قال أعرابي:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تِعْزَاءً وَتَسْلِيَةً
إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تَرِدْ

كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقَدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

القسم الخامس

في التحذير من الحرب وطلب الصلح

التحذير من تهيج الحرب والحث على الصلح

خطب سويد بن متهرق خطبة طويلة لصلح أمة فقال له رجل: أنت مذ اليوم ترعى في غير مرعاك، أفلا أدلك على المقال؟ فقال: نعم، فقال: أما بعد، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام، فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتوهبوا الديات.

وقيل: الحرب صعبة والصلح أمن ومسرّة.

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعادة؛ فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لنئيم.

وقال زيد بن حارثة: لا تستثيروا السّباع من مرائبها فتندموا، وداروا الناس في

جميع الأحوال تسلموا.

وقيل: الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها.

وقال كثير:

رَمَيْتْ بِأَطْرَافِ الزَّجَاجِ فَلَمْ يُفَقْ عَنْ الْجَهْلِ حَتَّى حَكَمْتُهُ نِصَالُهَا

التحذير من صغير يفضي إلى كبير

من أقوالهم: رب خطوة يسيرة عادت همة كبيرة.
وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة أبيات
أبي مهيم:

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرٍ	وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ
فَإِنَّ النَّارَ بِالزُّنْدَيْنِ تُرَوَّى	وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامٌ
أَقُولُ مِنَ التَّعْجِبِ لَيْتَ شِعْرِي	أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ
فَإِنَّ يَكُ قَوْمُنَا أَمْنُوا رُقُودًا	فَقُلْ هُبُّوا فَقَدْ آنَ الْقِيَامُ

ورأى أبو مسلم بن بحر في منشأ دولة الديلم هذه الأبيات مكتوبة على ظهر كتاب
فكتب تحتها:

أَرَى نَارًا تَشْبُ بِكُلِّ وَادٍ	لَهَا فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ شُعَاعٌ
وَقَدْ رَقَدَتْ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْهَا	فَأَضْحَتْ وَهِيَ أَمْنَةٌ تُرَاعُ
كَمَا رَقَدَتْ أُمِّيَّةٌ ثُمَّ هَبَّتْ	لِتَدْفَعَ حِينَ لَيْسَ بِهَا دِفَاعُ

وقال آخر: أول الغيث قطر ثم ينسكب.
من الحبة تنبت الشجرة العميمة ومن الجمرة تكون النار عظيمة.
قال صالح:

قَدْ يُحَقِّرُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَى فَيَرْكَبُهُ حَتَّى يَكُونَ إِلَى تَوْرِيطِهِ سَبَبًا

وصف الحرب بشدة

قال عمر بن الخطاب لعمر بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب، فقال: هي مُرَّةُ المذاق
إذا شمרת عن الساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف.
وقيل: موطنان تذهب فيهما العقول: المباشرة والمساوقة.
ووصف رجل الحرب فقال: أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى.

قال أبو تمام:

وَمَشْهُدِينَ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعُ حِبَالُهُ بِحِبَالِ الْمَوْتِ تَتَّصِلُ
ضَنْكُ إِذَا خَرَسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيئَةُ الذَّبَلُ

إصابة الحرب جانبيها وغير جانبيها

العرب تقول: الحرب غشوم لأنها قد تنال غير جانبيها.
وقال الشاعر:

لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ وَإِنِّي لِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالُ

وقال ابن الرومي:

رَأَيْتُ جُنَاةَ الْحَرْبِ غَيْرَ كَفَاتِهَا إِذَا اخْتَلَفَ فِيهَا الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ

التفادي من محاربة الأعدال

قصد الإسكندر موضعاً، فحاربتة النساء، فكف عنهن، فقليل له في ذلك فقال: «هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر».
وقال الشاعر:

قُبِيلَ لَنَامَ إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَغْلِبُونَا يُوجِدُوا شَرًّا غَالِبُ

وقال عمرو بن الأهيم:

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابُ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرِّقَابِ

وقال الزبرقان:

فَلَنْ أَصَالِحُهُمْ مَا دُمْتُ ذَا فَرَسٍ وَأَشَدُّ قَبْضًا عَلَى الْأَسْيَافِ إِبْهَامِي

تبكيك من عُرْض عليه صلح فلم يقبله

قال ابن قيس:

ومولَى دَعَاهُ الْغِيُّ وَالْغِيُّ كَاسِمِهِ وَلِلْجُبْنِ أَسْبَابُ تَصَدُّ عَنْ الْحَزْمِ
أَتَانِي يَشْبُ الْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُ لَا بَلْ هَلُمَّ إِلَى السَّلْمِ
وَلَمَّا أَبَى أَرْسَلْتُ فَضْلَةَ تَوْبِهِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِحَزْمٍ وَلَا عَزْمٍ
فَكَانَ صَرِيحَ الْجَهْلِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ مُخْتَارِ جَهْلٍ عَلَى عِلْمٍ

القسم السادس

في الهزيمة والخوف وأن الفرار لا يقي من الموت

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ﴾.
وقال أمير المؤمنين يوم الجمل: إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهرب، وإن لم تُقتلوا تموتوا، وإن أشرف الموت القتل.

تفضيل القتل على الهرب

قال سقراط لرجل هرب من الحرب: فضيحة، فقال الرجل: شر من الفضيحة الموت.
وقال سقراط: الحياة إذا كانت صالحة، وإذا كانت رديئة فالموت أفضل منها.
ولما قتل الإسكندر ملك الهند قال لحكمائه: لِمَ منعتم الملك من الطاعة؟ قالوا: ليموت كريماً ولا يعيش تحت الذل.

الممتنع من الفرار

قالت امرأة من عبد القيس:

أَبُوا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَضَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَزْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَمًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعَزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَحْزَمًا

تعبير من آثار الحرب فهرب

قال الحصيفي:

جَنَيْتُمْ عَلَيْنَا الْحَرْبَ ثُمَّ ضَجَعْتُمْ إِلَى السَّلَامِ لَمَّا أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُبْهَمًا

المُعِيرُ بانهزامه

قال الحجاج في كلامه: وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها لا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه.

وقال المنصور لأحد الخوارج: عرفني من أشد أصحابي إقدامًا فقال: لا أعرفهم بوجوههم؛ فإني لم أرَ إلا أقفائهم.

وقال قيس بن عطية: منحناهم الهزيمة ونفضنا عليهم العزيمة.
وقال الموسوي:

إِذَا مَا لَقِيتُ الْجَيْشَ أَفْنَيْتُ جُلَّهُ رَدَى وَرَدَدْتُ الْفَاصِلِينَ نَوَاعِيًا

وقال شاعر:

إِذَا حَارَبُوا لَمْ يَنْظُرُوا عَنْ شِمَالِهِمْ وَلَمْ يَمْسِكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الْخَوَافِقِ

ترك أتباع المنهزم

أوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال: حُبِّبْ إِلَى أَعْدَائِكَ الْهَرَبَ، قَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: إِذَا ثَبَتُوا جَدًّا فِي قِتَالِهِمْ أَوْ انْهَزَمُوا لَا تَتَّبِعْهُمْ.

وقيل لأمر المؤمنين: أَنْتَ رَجُلٌ مُجَرَّبٌ وَتَرْكِبُ بَغْلَةٍ، فَلَوْ اتَّخَذْتَ الْخَيْلَ، فَقَالَ: أَنَا لَا أَفَرُّ مِمَّنْ كَرَّ وَلَا أَكُرُّ مِمَّنْ فَرَّ.

المتأسف على نجا ولم يؤسر

قال عوف بن عطية:

وَلَوْلَا عُلَالَةُ أَفْرَاسِنَا لَزَادَكُمُ الْقَوْمُ خِزْيًا وَعَارًا

وقال أبو تمام:

لَوْلَا الظَّلَامُ وَعِلَّةٌ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ
فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدُرُودًا فَهُمْ لِدُرُودِ وَالظَّلَامِ مَوَالٍ

الفارُّ في وقت الفرار والثابت في وقت الثبات

قال النحاسي: أنا شجاع إذا ما أمكنتني فرصة، وإن لم تكن لي فرصة فجبان.
وقيل: الهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته.
وقيل: من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو شجاع.

تفضيل الإحجام كونه أوفق على الأقدام

قال المهلب: الإقدام على الهلكة تضييع، كما أن الإحجام عن الفرصة عجز.
وقال المتوكل لأبي العيناء: إني لأخاف من لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين الكريم ذو
خوف وإحجام، واللئيم ذو وقاحة وإقدام.
وقال مالك الأنصاري:

أُقَاتِلُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُقَاتِلًا وَأَنْجُو إِذَا غَمَّ الْجَبَانُ مِنَ الْكَرْبِ

اعتذار هارب زعم أن هربه نبوة أو قدر

قال الشاعر:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ بصالح أيامي وحسنِ بلائيا
وَلَمْ تَرِ مِنِّي نَبُوءَةً قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا

وقال عبد الله بن غلفاء:

وليس الفرار اليوم عار على الفتى إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

المتفادي من حضور الحرب

قيل لأحدهم لِمَ لا تغزو؟ فقال: إني أكره الموت على فراشي، فكيف أسعى إليه برجلي؟
ورأى المعتصم في بعض منتزهاته أسداً، فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه،
فقال له: أفيك خير؟ فلم الرجل مراده، فقال: لا، فقال: لا؟! قَبَّحَ الله سواك وضحك.
واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابته
فقال له: يا نذل، نحن في الحرب، وأنت بهذه الحالة؟ فقال: أيها الملك، إنما بلغت هذا
السن بالتوقي.

وصف المحتج لانتهزامه بخوفه من القتل

قيل لرجل إنك انتهزمت فقال: غضب الأمير عليّ وأنا حي خير من أن يرضى وأنا ميت.
وقال الشاعر:

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ نُصْحٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمَرَأْسُ
وَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي بَعْدَ هَذَا الرَّأْسِ رَأْسُ

وقال آخر:

بَاتَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدُ وَمَا عَلِمَتْ أَنْ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَيْتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ إِذَا دَعَتُهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَبْغِي فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ

الهارب عن قومه

قيل: الشجاع يقاتل من لا يعرفه، والجبان يفر من عرسه، والجراد يعطي من لا يسأله،
والبخيل يمنع من نفسه.
قال الشاعر:

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ أُمَّ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ

من نجا وقد استولى عليه الخوف

قال الشاعر:

فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا الْبَاهِلِيُّ فَإِنَّهُ قَطِيعُ نَيَاطِ الْقَلْبِ دَامِيَ الْمَقَاتِلِ

قالت عابدة المهلبية:

فَإِنْ ثَبَّتُوا فَعَمْرُهُمْ قَصِيرُ وَإِنْ هَرَبُوا فَوَيْلُهُمْ طَوِيلُ

تسليّة المنهزم

لما انهزم أمية بن عبد الله لم يدرِ الناس كيف يهنئونه أو يعزّونه، فدخل عبد الله بن الأَهمّ فقال: الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا، فقد تقدّمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجة الإسلام إليك فأبقاك له.
وقال شاعر:

لَقَدْ خِفْتَ حَتَّى لَوْ تَمَرُّ حَمَامَةٌ لَقُلْتُ عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةٌ مَعَشِرٍ

وقال آخر:

عَوَى الذُّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّبِّ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

من زاد به الخوف

قال دعبل:

كأنما نفسه من طول حيرتها منها على نفسه يوم الوغى رصد

المغلوب

كتب مروان إلى أحد الخوارج:

إني وإياك كالحجر للزُّجاجة، فالحجر إن وقع عليها رَضَّها وإن وقعت عليه قضاها.
استضعف ابن شبرمة رجلاً فقال: أنت حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قرنك.

شيوع المخافة

قال حسان:

تَشِيْبُ النَّاهِدُ الْعَذْرَاءُ مِنْهَا وَيَسْقُطُ مِنْ مَّخَافَتِهَا الْجَنِينُ

المصادر

- أدب الكتاب لابن قتيبة.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد.
- البيان والتبيين للجاحظ.
- كتاب النوادر لأبي علي القالي.
- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- المعلقات.
- المفضليات.
- الأصمعيات.
- جمهرة أشعار العرب للقرشي.
- حماسة أبي تمام.
- حماسة البحتري.

